التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 151 السنة الثامنة عشر - يونيو 2020

«الفيزا» المرنة..

القرار الشجاع

العدالة الإصلاحية خطوة تشريعية للأمام 10

«كورونا» يفاقم الصعوبات الاقتصادية 11

اصلاح سياسي أم ديني أم اقتصادي 12

موقفنا

خططنا بعد الجائحة

لن يكون مقبولًا أن تديرالدولة بنفس الطريقة الحالية، الكثير من الأمور في الفترة اللاحقة لما نواجهه الآن من جائحة طالت آثارها الكثير من أوجه حياتنا، شأننا في ذلك شأن بقية دول العالم، وعليها ترتبت وستترتب عواقب كثيرة وكبيرة الحجم، وتحتاج إلى رؤية مختلفة لإدارة المرحلة المقبلة، وفي هذا تبرز ثوابت لا يصحّ أن تتخلى الدولة عن مسؤولياتها تجاهها، فلها ستظل الألوية وربما تزداد، وفي مقدمتها الحفاظ على المكتسبات الاجتماعية والمعيشية للمواطنين، في مختلف المجالات الحيوية.

فلن يكون مقبولًا ان يجري تحميل الفئات الشعبية الواسعة تبعات ما نحن مقبلون عليه من صعوبات اقتصادية، ومن نقص في العائدات، لأن آثار ذلك، إن حدث، ستكون مكلفة اجتماعيًا، في وقت نحن في أمسّ الحاجة فيه إلى الحفاظ على الاستقرار المجتمعي، الذي يتأمن بالحرص على توفّر الحياة الكريمة للمواطنين، وفي جوهر شروطها تدخل مهمة صون هذه الضمانات.

إن المطلوب هو الحد، وحتى وقف، الكثير من أوجه الانفاق غير الضرورية، والتي لا تعود بالنفع المرتجى على الاقتصاد الوطني، وسيكون الاستمرار فيها استنزافًا للمال العام في أوجه ليس لها أية أولوية، فيما الدولة والمجتمع معًا سيكونا في أمس الحاجة للإنفاق في المجالات الحيوية التي تتصل بالتنمية في معناها الحقيقي، وبتأمين مستلزمات الحياة الكريمة لأبناء الوطن.

وطالما نحن في أتون أزمة ذات طابع صحي، علينا ملاحظة ما أظهرته من الطابع الاجتماعي للخدمات الطبية التي تتطلب إعطائها أولوية قصوى، عبر زيادة الانفاق على الصحة، وتمسك الدولة بمسؤوليتها في إدارة وتقديم الخدمات الصحية، والاستمرار في تأهيل الكوادر الطبية، أطباء وممرضين وفنيين وسواهم، واستيعاب الأعداد الكبيرة من العاطلين منهم، وإنهاء كافة وجوه التمييز المسؤولة عن معاناتهم.

وعلينا أن نستفيد من التوجهات التي أعلنت عنها دول خليجية شقيقة، منطلقة من حقيقة أن العالم بعد كوفيد 19 ليس كالعالم قبله، فأعلنت عن مراجعة هيكل الحكومة وحجمها، فقد يتم دمج وزارات أو تغيير هيئات، في إطار إعداد استراتيجية ما بعد كوفيد 19، تتطلب حكومة أكثر رشاقة ومرونة وسرعة لتواكب أولويات وطنية جديدة ومختلفة.

وبالتأكيد فإن الخطط اللازمة للمرحلة المقبلة يجب أن تستوفي ما تطالب به القوى السياسية المختلفة، وقوى المجتمع المدني والسلطة التشريعية من محاربة للفساد ومن تمكين للحوكمة والشفافية، وإحلال الكفاءات الوطنية في الوظائف وإحتواء البطالة بدلاً من نكران وجودها.

التقدمي

حيا عمال البحرين واستنكر تصريحات قائد البحرية الإيراني

التقدمي: ضرورة مراجعة سياسات الصحة والتعليم والخدمات العامة

عقد المكتب السياسي للمنبر التقدمي اجتماعاً بحث فيه التطورات على مختلف الأصعدة، وأثر جائحة كورونا على الجوانب الاقتصادية والسياسية والمجتمعية، وتوقف مطولاً لمناقشة الأثر الفاضح الذي كشفت عنه الأزمة الصحية في السياسة النيوليبرالية التي طالما روجت لها الأنظمة الرأسمالية، وفي طليعتها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، ليتبيّن للعالم حقيقة وواقع هذه الأنظمة بعد أن انكشف غطاء الشعارات الرأسمالية المدعوم بالماكينة الإعلامية لتصبح هذه الأنظمة النموذج الأكثر مثالاً لفشل هذه السياسات الاقتصادية.

وفي هذا السياق دعا المكتب السياسي إلى مزيد من التباحث في آلية العمل مع فصائل ومنظمات المجتمع الأهلية والسياسية التي من خلالها يمكن له تشكيل أداة مؤثرة تدفع إلى قيام مراكز القرار الرسمي باتخاذ خطوات عملية تعكس الحاجة الفعلية والماسة لمراجعة التوجه الرسمي في مملكتنا في قطاعات الصحة والتعليم والخدمات العامة في مجملها، التي تسير نحو سياسة اقتصادية على نموذج السياسة الأمريكية والأوروبية كما يراد، ويقف خلفها ويدعمها منظمات دولية تابعة لها وفي المقدمة منها البنك وصندوق النقد الدوليين، وخاصة فيما يخص بيع الضمانات الاجتماعة مثل الصحة والتعليم وقطاع المحروقات إلى القطاع الخاص، الذي له مصالح منفصلة عن المصالح العامة وغير منقادة إلى القيود التي تتطلبها الوظيفة الاجتماعية للقطاع العام وقد تجلى هذا بوضوح في تنصل معظم شركات التأمين الصحي عن دورها الاجتماعي في الدول التي انتهجت المسار المنفتح والخصخصة.

وفي هذا السياق جدد المكتب السياسي بمناسبة ذكرى الأول من مايو – عيد العمال العالمي – تقديره إلى الطبقة العاملة في البحرين والأبطال الذين يتصدرون الصفوف الأمامية في الأزمة الراهنة من أطباء وممرضين وفنيين ومسعفين ومتطوعين وعمال في كل مواقع العمل والانتاج التي لم تتوقف، ومن جهة أخرى أشاد بالكيفية التي أحيا فيها قطاع النقابات العمالية والمهنية في المنبر التقدمي الاحتفال بهذه الذكرى بمعية الرفاق من الحركة التقدمية في الكويت عبر وسائط الميديا ومشاركة الرفاق من الحزب الشيوعي العراقي.

كما بحث المكتب السياسي الوضع المأساوي للعمالة الوافدة، إذ كشفت أزمة كورونا عن مدى الجشع والأنانية التي يتصف بها الكثير من أرباب العمل حين اتضح خلو مساكن العمال الوافدين من أبسط الشروط الإنسانية الواجب الإلتزام بها، مما ساهم في سرعة انتشار الوباء بينها مهددة حياة المئات منها. وجدد المكتب السياسي رفض التقدمي لكل أشكال العنصرية والتي حاول البعض ترويجها اتجاه العمالة الوافدة.

ومن جهة أخرى عبر المكتب السياسي عن استنكاره الشديد للتصريحات التي أطلقها قائد القوات البحرية في الحرس الثوري الإيراني رضا تنغسيري، الذي ساق الأكاذيب بادعاءه تبعية مملكة البحرين لإيران، مؤكداً أن هذا النهج الذي يسير عليه الحرس الثوري الإيراني، يتلاقى مع نهج الكيان الصهيوني في النزعة لاغتصاب أراض الشعوب الأخرى وتزوير التاريخ لتمرير سياساتها التوسعية وهيمنتها على شعوب المنطقة.

كما بحث المكتب السياسي الوضع السياسي في العموم والعلاقات مع المنظمات والأحزاب السياسية، واستعرض البيانات التي شارك فيها ووقّع عليها مع العديد من الأحزاب السياسية في العالم، وتوقف في الشأن الداخلي عند حرية الرأي وأهمية الدفع المستمر نحو مساحة أرحب توفر الضمانات الكفيلة بصون حرية النقد والتعبير كضرورة وشرط أساسيين لتعبيد الطريق نحو بيئة تنموية قادرة على محاربة الفساد والمحسوبية وقادرة أن تحفظ الكرامة الإنسانية للمواطنين والمقيمين على اختلاف تجذرهم التاريخي واعتقادهم الفكري وانتماءهم الطبقي.

٣ مايو ٢٠٢٠

بمناسبة يوم التمريض العالمى

«التقدمى»: نثمن عالياً جهود الطواقم التمريضية البحرينية

أعرب المنبر التقدمي بمناسبة يوم التمريض العالمى 2020 الذى يصادف اليوم 12 مايو عن خالص تقديره واعتزازه لجهود وعطاءات الكوادر التمريضية فى مملكة البحرين وفى كل أرجاء المعمورة، وأشاد بالجهود والإسهامات الكبيرة التى بذلتها ولازالت تبذلها الطواقم العاملة فى التمريض وتقديم كل أوجه الرعاية الصحية.

إن منظمة الصحة العالمية التى قررت اعتبار هذا العام «عام التمريض والقبالة»، تقديراً لإسهامات كل العاملين فى هذا المجال وهم وفقاً للمنظمة يشكلون نحو 50٪ من القوى الصحية عالمياً، وذلك امتناناً لهم ولكل معانى التضحية والرحمة التى تتوارد عند الحديث عن الممرضين والممرضات ورسالتهم الإنسانية التى يؤدونها.

ونحتهز هذه المناسبة لنثمن عالياً جهود وعطاءات وتضحيات الكوادر التمريضية البحرينية الذين يخوضون تحديات كبيرة بمواجهة جائحة كورونا، وتصدرهم الصفوف الأولى فى هذه المواجهة جنباً إلى جنب مع الطواقم الطبية والإدارية والعاملين فى مختلف المجالات، والذين يؤدون المسؤوليات والواجبات المهنية الإنسانية بجد وتفانٍ، وبروح وطنية عالية، خاصة وأنهم فى الظروف الاستثنائيّة الراهنة يشكلون دروعاً وقائية لحماية المواطنين والمقيمين، ورعاية المرضى والمصابين فى ظل التعاطي مع تداعيات ومستجدات وباء كورونا.

إن المنبر التقدمى وهو يجدد كامل تقديره واعتزازه بالطواقم التمريضية الوطنية ليأمل خاصة بعد تجاوز جائحة كورونا بمراجعة جادة لواقع مهنة التمريض فى المملكة وتوفير كل ما ينهض بهذا الواقع ويدفعه به نحو آفاق جديدة فى مجالات تطوير وتحسين جودة خدمات الرعاية التمريضية وتطوير أوضاع العاملين فى التمريض.

١٢ مايو ٢٠٢٠

بمناسبة الذكرى الـ ٧٢ للنكبة

التقدمي يرفض محاولات التسويق للتطبيع وتصفية القضية الفلسطينية

تطل علينا الذكرى الثانية والسبعون للنكبة بوجهها القبيح في ظل غياب رؤية عربية وموقف عربي موحد من القضية الفلسطينية. بل تمر هذه الذكرى في ظل تواطئ سياسي مع القوى الإمبريالية تستهدف شرعنة الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية خلافاً لكل القرارات والمواثيق الدولية وأولها القرار رقم 242 الذي يقضي بحل الدولتين وانسحاب الكيان المحتل إلى الحدود ما قبل 67 والقرار رقم 194 الذي يكفل حق العودة للمهجرين واللاجئين الفلسطينيين منذ العام 1948.

في هذه الذكرى الأليمة يقف المنبر التقدمي مع كافة القوى الوطنية والتقدمية في البحرين والمنطقة العربية ليجدد موقفه الثابت تجاه حق الشعب العربي الفلسطيني في إقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف، ويؤكد حقه في المقاومة من أجل نيل حقوقه المشروعة والتحرر من هيمنة وحصار الاحتلال الجائر.

طوال عشرات السنين سطّر الشعب الفلسطيني أسطورة لا مثيل لها في مقاومة الاحتلال وقدم آلاف الشهداء من المقاومين والمناضلين والأطفال والنساء وظل محافظاً على هويته وموقفه الوطني. ويقف اليوم الشعب الفلسطيني أمام ما يسمى بصفقة القرن موحداً كل قواه السياسية والمدنية من أجل إفشال هذا المشروع الذي يهدف إلى تصفية القضية الفلسطينية وتبديد الحلم الفلسطيني في عودة المهجّرين وإقامة الدولة الفلسطينية.

يجدّد التقدمي موقفه الداعي لوقوف كل القوى الوطنية ضد محاولات التطبيع التي يتم التسويق لها بأشكال شتى وتسخير الماكينة الإعلامية من أجل بلورة ثقافة انهزامية ترى في الاحتلال والتطبيع معه أمراً واقعاً ومصلحة وطنية، كما يستهجن ويستنكر كافة المواقف التي تصب في مجرى التطبيع ومن ضمنها وقف ندوة إلكترونية مؤخراً حول مخاطر التطبيع مع العدو الصهيوني. مؤكداً بأن الشعب البحريني كان وسيظل دائماً مع القضية الفلسطينية والتي ستبقى قضية العرب الأولى.

إن القضية الفلسطينية مستقرة في وجدان الشعب البحريني وضميره ومكون مهم في موروثه الثقافي والفكري وهي جزء من آماله وتطلعاته نحو غد مشرق، كما أنها ستظل تشكل عنواناً رئيسياً لكل قوى المجتمع المدني في البحرين.

٢٠٢٠/٥/١٥

فضفضة

عيسى الدرازي

الاستثمار الأنجع

لفتني تعليق أحدهم على التصريح الرسمي حول أوجه صرف مبالغ التبرعات والمساهمات والتي جمعتها حملة «فينا خير» التي انطلقت من أجل تأكيد التضامن الشعبي والمؤسسي أهلياً كان أو عاماً في مواجهة جائحة كورنا التي استشرت وجعلتنا مقيدين نواجه أمواج المجهول المتلاطمة.

يشير التصريح إلى أن أوجه صرف المبالغ المحصلة من حملة التبرعات والبالغ حجمها 100 مليون دولار، ستذهب إلى مبادرات إفطار المحتاجين من صيام شهر رمضان، ودعم الأسر المنتجة المتعففة في هذه الفترة عبر مساعدتهم لتصنيع الكمامات وطبخ الوجبات للمحتاجين والفئة الثالثة التي ستحصل على الدعم هم أصحاب المهن غير المسجلين في ضمن مظلة التأمينات الاجتماعية. ردّ ذلك الشاب الذي لفت انتباهي قال بما معناه (المبلغ الذي جمع من حملة التبرعات يكفي لبناء مستشفى على شاكلة مجمع السلمانية الطبي).

وزيرة الصحة قالت في وقت سابق بأن بناء وتجهيز مستشفى على شاكلة مجمع السلمانية الطبي يحتاج إلى مبلغ لا يقل عن 100 مليون دينار بحريني، وهو ما تحتاجه الوزارة لتلبية بناء مستشفى عام في المحافظة الجنوبية والمحافظة الشمالية، كون هاتين المحافظتين ليس بهما مستشفى عام ويعانون من كثافة سكانية كبيرة وصعوبة نسبية في الوصول إلى مستشفى عام كالسلمانية إن كان محتاج العلاج من قاطني قرى الجنوبية البعيدة.

في المقابل شهد شهر ديسمبر الماضي توقيع اتفافية بين وزارتي الصحة والاشغال وشركة مقالات لإنشاء مركز صحي في مدينة خليفة جنوبي البحرين بتكلفة قلت عن 6 ملايين دينار بقليل، ووعدت حينها الوزيرة بأن هذه الميزانية تكفي لبناء «مركز نموذجي مجهز بأحدث المستلزمات الطبية وفقا لأعلى المعايير والاشتراطات، حيث سيشتمل على قسم الاستقبال والسجلات الصحية، قسم الاستشارات والخدمات الطبية ويضم 12 عيادة للأطباء، قسم الصيدلية، قسم الأشعة، قسم المختبر، قسم الطوارئ، قسم صحة الفم والأسنان ويضم 6 عيادات، قسم العلاج الطبيعي، وقسم رعاية الطفولة والأمومة».

بحسبة رياضية بسيطة جداً، فإن مبالغ التبرعات التي جمعها الحملة قرابة 37 مليون دينار بحريني تكفي لبناء وتجهيز مالا يقل عن 5 مراكز صحية نموذجية مجهزة تجهيزاً طبياً على أعلى المعايير الاشتراطات، حسب تصريح الوزيرة السابق، ويتم توزيع هذه المراكز الصحية المتطورة على كافة مناطق البلد، بالتأكيد بأنها ستكون زيادة محمودة وداعمة للمنظومة الصحية وستخفف بلاشك الضغوط المتزايدة على المراكز الصحية والمستشفيات العامة.

أحد أهم الدروس التي لقنتنا إياها هذه جائحة كورنا القاسية هي أهمية دعم المنظومة الصحية العامة، وحتى نحسن تدبير المبالغ التي جمعتها حملة التبرعات لمواجهة هذا الوباء، يحب علينا أن نفكر ملياً فيما ستذهب إليه ومن أجله، ويا حبذا لو استمثرت هذه المبالغ الاستثمار الأمثل والأنجع في حلول دائمة ومستقبلية.

بمناسبة الأول من مايو

حفل افتراضي مشترك للتقدمي والحركة التقدمية الكويتية

أقام المنبر التقدمي والحركة التقدمية الكويتية حفلا مشتركا بمناسبة الأول من مايو بشكل إلكتروني عبر تطبيق زووم بعد تعذّر التجمع والاحتفال بالشكل المعتاد سنويا بسبب جائحة كورونا حضره 62 مشاركا وتابعه على قناة التقدمي في اليوتيوب 200 مشاهد.

وأقيم الحفل الأفتراضي مشتركا لأول مرة حيث اسثمر الوضع القائم بلقاء جمع رفاق الدرب والأصدقاء من البحرين والكويت وشهد مشاركة من رفيقين من العراق.

وبدأ الحفل بكلمات مجدولة شارك فيها من البحرين الرفاق؛ عبدالنبي سلمان النائب الأول لرئيس مجلس النواب والنائب سيد فلاح هاشم وبدرية المرزوق رئيسة الأتحاد النسائي البحريني وإيمان شويطر رئيسة قطاع المرأة بالأضافة إلى عباس البحاري وعلي الحداد، كما قدم الفنان أحمد الغانم وصلة موسيقية من تأليف المناضل الرفيق مجيد مرهون وأغنية الحلوة دي.

ومن الكويت شارك الرفاق؛ دكتور فواز فرحان، وفهد ماهر وناصر ثلاب ومحمد نهار واسامة العبدالرحيم.

وانضم إلى الحفل وشارك بمداخلة الرفيق سلام القريني سكرتير محلية كربلاء في الحزب الشيوعي العراقي والرفيق وسام الخزعلي السكرتير السابق لأتحاد الشباب الديمقراطي العراقي.

كما شارك النقابي محمد العمادي نائب رئيس الأتحاد الدولي للنقل بمداخلة شخص فيها الوضع النقابي والتحديات القائمة أمام الحركة العمالية.

وأكد المشاركون في الحفل على أهمية الحفل الأفتراضي في جمع الرفاق والتقائهم ومواصلة أحتفالهم بعيد العمال العالمي، واشاروا إلى العديد من الملفات والقضايا العمالية التي تشكل أولوية العمل في الفترة القادمة إلى جانب الأشارة إلى تأثير جائحة كورونا وما اظهرته من تناقضات في النظم الرأسمالية والنيولبرالية الجشعة والتي تقدم مصالحها الأقتصادية على سلامة المجتمع.

د. علي البقارة يحاضر عن البحرين وتحدّيات الجائحة

نظّم ملتقي التقدمي مساء يوم الأحد 17 مايو 2020 ندوة بعنوان: «البحرين وتحديات جائحة كورونا» عن بعد ، وبثت على قناة «التقدمي» عبر يوتيوب ، حاضر فيها الرفيق الدكتورعلي البقارة ، وأدار الحوار الرفيق يحيى المخرق.

تحدث د.البقارة عن تجربته كطبيب متطوع في محجر الحد الصحي الاحترازي، حيث يجري استقبال العائدين من الخارج سواء كانوا من البحرينيين أو من المقيمين العرب والأجانب في البحرين، وطبيعة الإجراءات الصحية الاحترازية المتخذة، ومتابعة العلاج مع المصابين منهم، وما لذلك من أثر طيب في نفوس الأفراد المشمولين بالرعاية وذويهم.

وأشاد د. البقارة بالإجراءات الاحترازية التي اتخذتها الدولة بتشكيل فريق البحرين الوطني للتصدي لجائحة كورونا برئاسة سمو ولي العهد، وما تقوم به من عمل للحدّ من انتشار الفيروس في البلاد، كما وجه المحاضر، بوصفه طبيبًا، نصائح للمواطنين والمقيمين بالالتزام بالإجراءات الاحترازية التي أعلنت عنها وزارة الصحة، من خلال التباعد الاجتماعي والبقاء في البيوت، والالتزام بلبس الكمامات وغسل اليدين باستمرار، لأن الوعي المجتمعي والتقيّد بالإرشادات الصحية سوف يقلل من انتشار الوباء.

بمناسبة اليوم العالمي للعيش فى سلام

الجمعيات السياسية : نرفض الكراهية والطائفية وندعو لقيم العدل والتسامح

بمناسبة اليوم الدولي للتعايش فى سلام الذي يصادف السادس عشر من مايو أصدر عدد من الجمعيات السياسية بياناً ، أكدت فيع على المبادىء التي من أجلها يحتفل العالم بهذا اليوم، من أجل تعبئة جهود المجتمع الدولي لتعزيز السلام والتسامح والتضامن، وتعزيز ثقافة السلام واللاعنف، والقضاء على كل أشكال العنصرية والتمييز والتعصب، كما أن هذه المناسبة تشكل فرصة لحث مختلف الدول للعمل معاً من أجل تجاوز الانزلاقات التى تمس قيم التسامح والوئام والمصالحة، وكذلك القيم الإنسانية وحقوق الإنسان بأية صورة كانت، كما تمثل هذه المناسبة دعوة مشتركة من أجل عالم ينعم بالسلام والأمن والأمن المجتمعي.

وأكدّت الجمعيات في بيانها على أهمية دعم وتشجيع القوى والمؤسسات الوطنية والسياسية والمجتمعية كل فى مجاله من أجل العمل الجاد والهادف لتحقيق كل تلك الأهداف والقيم وتعبئة جهود المجتمع البحرينى للقيام بدورها المفترض الذى يمكن أن يتكامل مع دور الدولة المطلوب، خاصة فيما بعد مرحلة كورونا والوقفة الوطنية المشهودة التى أظهرتها، وبالذات على صعيد التضامن والمصالحة الوطنية، والعدالة الاجتماعية، وتعزيز حقوق الإنسان، والالتزام بكل المعايير المتطورة فى كل تلك المجالات، والعمل على ما يعزز قيم العدل والتسامح ونبذ العنصرية والكراهية والطائفية، والوقوف بمنتهى الجدية والحزم حيال أي ممارسات تعرقل أي جهد يَصْب فى خدمة هذا الهدف من قبل أي كان من أجل حق الوطن والناس والمستقبل.

ووقعت على البيان كل من جمعيات: المنبر التقدمي، التجمع القومى الديمقراطي، الوسط العربي الإسلامي، التجمع الوطني الدستوري، الصف الإسلامي، التجمع الوطني الديمقراطي الوحدوي.

قراءة في واقع الحركة النقابية البحرينية – ١

جواد المرخي

نود تناول واقع الحركة النقابية في البحرين بصفتنا نشطاء في هذا المجال، ولنا فيه خبرة ومعرفة، وعليه بالإمكان أن نتطرق بحيادية وبنقد بنّاء لأداء هذه الحركة، ولما يجري في العمق النقابي من تدهور وتفكك، على ضوء المستجدات الأخيرة، وبروز نقابات عمالية رافضة للإنجرار والانصياع لأوامر الإتحادين القائمين، وتوجيهها لهما انتقادات فحواها أنهما غير فاعلين وتشوبهما البيرقراطية والشللية والنعرات الطائفية.

إن تذمر بعض القيادات في النقابات لم يأت من فراغ، بل هو نتيجة للإستياء المتراكم لظاهرة الانشقاق في صفوف الإتحادين النقابيين، الاتحاد العام والاتحاد الحر، بواعز الاحتراب بين الفرقاء حول من يهيمن على المناصب القيادية فيهما، وهناك أسباب أخرى للانشقاقات التي حصلت في الاتحادين، بينها سياسة الهيمنة والتسلط لقوى نافذة فيهما، بعضها له نفس طائفي أثّر سلبا على مواقف الاتحادين في مسألة الحيادية والإستقلالية للإتحادات، والابتعاد عن الأساليب الديمقراطية لحل الخلافات.

تعتبر النقابات البيت المحصن الذي يتواجد فيه العمال، والذي من خلاله يدافعون عن مصالحهم وحقوقهم ومستقبلهم، والوقوف بقوة ضد مستغليهم ومضطهديهم في كل مكان وزمان. وعليه بات من الضروري تطوير التشريعات والقوانين النقابية التي يجب أن تتصل بمصالح العمال وسائر الشغيلة، من خلال بروز قيادات وكوادر نقابية مخلصة لمصالح العمال.

التطورات الأخيرة في الحركة النقابية في البحرين، خصوصًا بعد المؤتمر الأخير للإتحادين، العام والحر، أظهرت أنهما يعانيان من عدم الاستقلالية والابتعاد عن روح العمل الجماعي الديمقراطي، وعدم إتباع الحوار وسيلة لمعالجة الخلافات، بما يخدم مصلحة الحركة النقابية في البحرين.

إن الحركة العمالية والنقابية اليوم بحاجة ماسة لكوادر نقابية تمتلك الثقة والقدرة على مواصلة النضال في سبيل التجديد والتغيير والإستقلالية بالرغم من صنوف التهميش والاقصاء. نحن نفضل طرق الحوار للتقليل من الاحتراب والنزاعات التي اوصلت الحركة النقابية في البحرين إلى أدنى أداء، ولابد من الاعتراف بتعددية الآراء والأفكار لدى النقابيين، ما يفرض الابتعاد عن عقلية الاقصاء إذا أردنا فعلا بناء اتحادات ونقابات عمالية قوية ذات صلة بمصالح العمال.

وهذه مهمة القيادات النقابية الفاعلة والمخلصة لتأخذ دورها في الدفاع عن مصالح النقابات ومصير الطبقة العاملة في البحرين، الذي هو مهمش منذ فترة طويلة لأسباب مختلفة خصوصا في مسألة إغراق البحرين بالعمالة الوافدة، وهذا يقتضي الإبتعاد تماما عن آفات النعرات البيروقراطية والمحسوبية والطائفية التي تعاني منها النقابات في البحرين.

الأطبّاء بعقود مؤقتة : إلى متى نظلّ هكذا؟!

نشرت جريدة " الأيام" رسالة وجهها الأطباء العاملين بعقود مؤقتة، قالوا فيها: "إن الكل يعلم ما أصاب البلد من جائحة كورونا التي اجتاحت العالم أيضًا، وما تأثير تلك الجائحة على بلدنا الحبيب»، موضحين: إن استثمار المملكة الكبير في القطاع الصحي طيلة السنوات السابقة، وبالأخص في عنصرها البشري من أطباء وممرضين وفنيين، هو ما ذلّل الصعاب وخفّف من تداعيات هذا الوباء. وإننا اليوم ننتهز الفرصة للفت أنظاركم إلينا، نحن فئة الأطباء الموظفين بعقود مؤقتة، كذلك زملاؤنا حديثو التخرج؛ من أجل أن يستوعبنا جميعًا القطاع الصحي بصورة دائمة وليست مؤقتة، أسوة بزملائنا الموظفين في وزارة الصحة، ما يمنحنا الإحساس بالأمان الوظيفي الذي ننشده والذي سيكون له بالغ الأثر؛ كي نستثمر مسيرة العطاء في كل القطاعات.

وختم الأطباء بعقود مؤقتة رسالتهم بالتأكيد على حاجتهم للفتة إنسانية "نظير ما نقدمه وسنقدمه أيضًا خدمة للوطن، وأن يتم النظر في عقودنا المؤقتة وتحويلها إلى عقود دائمة، وأن نكون موظفين فعليين في وزارة الصحة.

وعلى صلة بهذا قال النائب عادل العسومي: إن البحرينيين قدّموا كل العون لفريق البحرين، وتطوعوا لتقديم جميع الخدمات، خصوصًا الكوادر الطبية التي تعمل بالصفوف الأمامية، وذلك في سياق مناقشة اقتراح تثبيت الأطباء البحرينيين الذين يعملون بعقود مؤقتة في وزارة الصحة. وأوضح أن «مهنة الطب ممارسة، ويجب ألا يبقى الخريجون في المنزل بعد انتهاء مدة التدريب، ويجب تبنّي الخريجين المتميزين وإتاحة الفرصة لهم؛ لدعم الكفاءات البحرينية".

«**الأيام**» 3 و 13 **مايو** 2020

أصحاب التاكسي ومدربو السياقة وموظفو رياض الأطفال غير مسجلين في التأمين الاجتماعي

أكدت الرئيس التنفيذي لهيئة التأمين الاجتماعي إيمان المرباطي أن تأثير تداعيات أزمة كورونا قد تسببت بضرر اقتصادي كبير على المستويين المحلي والعالمي، من ضمنها تمويل الصناديق التأمينية، وأنه مع استمرار الوضع وعدم وضوح الرؤية يصعب تقييم الأثر المتوقع للأزمة على الصناديق، إلا أن الهيئة تعمل جاهدة لإيجاد آليات تضمن استقرار الصناديق التقاعدية، موضحة أن رواتب المتقاعدين في البحرين في مأمن حتى الآن.

وقالت المرباطي إن موعد إيداع الدعم الحكومي في حسابات أصحاب العمل في تاريخ 16 من كل شهر بسبب أن بعض الشركات تودع رواتب موظفيها منتصف الشهر، بينما تتفاوت جميع الشركات في تواريخ إيداع رواتب موظفيها، وأن الهيئة أوجدت طريقة بعدم تأخير الدعم عن جميع المؤسسات حتى لا يتأثر موعد رواتب الموظفين، وأن الهيئة لا علاقة لها بفرض تاريخ محدد على الشركات الخاصة لإيداع رواتب موظفيها.

أما بخصوص دعم أجور أصحاب التكاسي ومدربي السياق وموظفي مؤسسات رياض الأطفال فأوضحت أن هذه الفئة غير مسجلة في التأمينات الاجتماعية؛ ولذلك فإن الدعم سيتم عن طريق وزارة العمل والتنمية الاجتماعية.

«**أخبار الخليج**» - **الثلاثاء 05 مايو 2020**

حميدان: 12 تخصصاً غير مطلوب في سوق العمل

كشف وزير العمل والتنمية الاجتماعية جميل حميدان أن الوزارة حددت 12 تخصصاً غير مطلوب في سوق العمل في مقابل العدد الكبير للباحثين عن عمل من حاملي شهادات تلك التخصصات، مشيراً إلى أنه خلال الخمس سنوات القادمة ستحتل المهن التي تعتمد على التكنولوجيا الحديثة مراتب متقدمة بين المهن المطلوبة وستتقلص العديد من الوظائف نظراً للتطور العلمي.

وأكدّ في رده على سؤال برلماني لعضو مجلس الشورى نوار المحمود، أن من التخصصات غير المطلوبة التاريخ، التربية، الجغرافيا، الخدمة الاجتماعية، الدراسات الإسلامية، الرياضيات، التربية الرياضية، التربية الفنية، علم الاجتماع، علم النفس، الفيزياء، الكيمياء وغيرها.

"**الوطن**" - 8 **مايو** 2020

وزير المالية: 187 مليون دينار متأخرات صناديق التقاعد

كشف وزير المالية والاقتصاد الوطني عن أن إجمالي متأخرات اشتراكات التأمين المستحقة لهيئة التأمين الاجتماعي لصناديق القطاع العام المدني والقطاع الخاص، وصندوق أعضاء مجلسي الشورى والنواب والمجالس البلدية بلغت حتى ديسمبر الماضي حوالي 187 مليون دينار

وأوضح وزير المالية أن المبالغ المستحقة لصندوق القطاع العام المدني حتى ديسمبر 2019 بلغت 17658766 دينار، واجمالي المبالغ المستحقة لصندوق القطاع الخاص بلغت 59516176 دينار، واجمالي المبالغ المستحقة لصندوق أعضاء مجلسي الشورى والنواب والمجالس البلدية حتى الفصل التشريعي الرابع 110039202 دينار.

"**أخبار الخليج**" - **7 مايو 2020**

كاريكاتير خالد الهاشمي

نقلاً عن حساب الفنان على «انستجرام»

عمال شركة مقاولات لم يستلموا رواتبهم منذ 10 أشهر

تلقى الاتحاد الحر لنقابات عمال البحرين شكوى لمجموعة من العمال التابعين لإحدى شركات المقاولات، أفادوا فيها بأنهم لم يتسلموا رواتبهم منذ 10 أشهر. وقال الإتحاد إن رئيس لجنة الشكاوى العمالية بالاتحاد التقى بالعمال، حيث أكدّ المتحدث باسمهم أنهم لا يجدون قوت يومهم في الأيام العادية قبل رمضان، حتى جاء الشهر الكريم وأزمة فيروس كورونا (كوفيد19) ما ضاعف أوضاعهم المأساوية، وأنهم يجدون صعوبة بالغة في توفير قوت يومهم.

وقال الاتحاد الحر إنه تمت مخاطبة صاحب المؤسسة للمحاولة للوصول إلى حل ودي للمشكلة. وفي حال لم يتم التوصل لاتفاق مع صاحب المؤسسة فسيبدأ الاتحاد الحر في تفعيل الاتفاق المبرم مع هيئة تنظيم سوق العمل، والقيام برفع دعوى عمالية أمام المحكمة المختصة.

وفي هذا الصدد قدم الاتحاد الحر مساعدات عينية عاجلة للعمال المتضررين، فيما أكد على وقوفه إلى جانب الحق ونصرة المستضعفين من العاملين في أي قطاع، وشدد على ضرورة الإسراع في حل قضية العاملين بطرق تحفظ حقوقهم، واستقرار السوق وبما يوازن ما بين مصالح جميع الأطراف.

"**الوطن**" - 9 **مايو** 2020

إجراءات قانونية بحق مكاتب تستقطب العمالة المنزلية الهاربة

صرح مدير عام الإدارة العامة للمباحث والأدلة الجنائية ، أنه تم اتخاذ الإجراءات القانونية المقررة وبالتعاون والتنسيق مع هيئة تنظيم سوق العمل ، بحق عدد من المكاتب التي تستقطب العمالة المنزلية الهاربة للعمل بنظام الساعات، دون تصريح.

وأوضح بأنه اثر تأكيد المعلومات الواردة بهذا الشأن ، تم مباشرة عمليات البحث والتحري والتي أسفرت عن تحديد هذه المكاتب واتخاذ اللازم بحق 44 من العمالة المنزلية المخالفة .

«**الوطن**»- 6 **مايو** 2020

في تعليقٍ على ردّ وزيرة الصحة

عبدالنبي سلمان: ضمانات مطلوبة قبل الضمان الصحي

تقدّم عضو كتلة «تقدّم» النائب الأول لرئيس مجلس النواب عبد النبي سلمان بسؤال برلماني إلى وزيرة الصحة فائقة الصالح عن الضمان الصحي، جاء فيه: «ما هي الخطوات المنتظرة لتطبيق الضمان الصحي في مملكة البحرين؟ وما هي الخطط التي ستقوم بها الوزارة على المستوى الإعلامي والترويجي لإيضاح خطوات تطبيق مشروع الضمان الصحي للمواطنين والمقيمين على حد سواء؟ وما هي الانعكاسات المتوقعة لتطبيق نظام الضمان الصحي بالنسبة للمواطنين وبالنسبة للارتقاء بالخدمات الصحية والعلاجية وتوافر الأدوية بعد التطبيق الكامل للمشروع؟ ومتى سيبدأ التطبيق الفعلي للمشروع؟»

وفي تعليقه على ردّ الوزيرة قال سلمان: «إن تطوير النظام الصحي في البحرين بات ضرورة في ظل الزيادة السكانية الكبيرة التي حدثت خلال السنوات العشر الأخيرة، وحيث ان هذه الزيادة انعكست على أكثر من قطاع خدماتي من بينها القطاع الصحي وقطاعات التعليم والكهرباء والطرق وغيرها، ومن الواضح أن ارتفاع شكاوى المواطنين والمقيمين بشأن الخدمات الصحية آثار ويثير تساؤلات عديدة حول التزام الدولة الدستوري بتقديم تلك الخدمات ضمن برامج دولة الرعاية التي تعتبر لحد الآن ضمانة قائمة للمواطنين، وما هي سيناريوهات نجاح او فشل مشروع الضمان الصحي؟

خاصة وأن هناك شكوى متزايدة حالياً من شحّ بعض الأدوية والعلاجات الرئيسة والعمليات الجراحية والمواعيد، حيث تقدّم الوزارة إجابات وأعذار وبدائل أدوية غير موثوقة عن تلك الأدوية.

وفضحت جائحة كورونا غالبية أنظمة الصحة العالمية وبشكل خاص في الدول التي عملت على تخصيص خدماتها الصحية والطبية، كما يحدث في دول كبرى، حيث صحا الجميع هناك على كارثة كورونا، ولا زالوا حتى اللحظة لا يعرفون طريقهم للخروج من أزمتهم بفعل الفشل الذريع في أنظمتهم الصحية التي سلمت منذ سنوات لشركات خاصة حيث تخلّت الدولة عن مسؤلياتها ليترك مواطنو تلك الدول من دون غطاء صحي او علاجي، فيما يتعذر على الملايين منهم الحصول على تغطية تأمينية.

أسئلة كثيره يجب على الدولة في مملكة البحرين ان تجيب عليها وان تقدم الضمانات بشأنها إلى جميع شرائح المواطنين والمقيمين قبل البدء بتطبيق الضمان الصحي فعليا في البحرين. لسنا ضد تطوير النظام الصحي لكننا لسنا بوارد قبول مغامرة غير محسوبة، خاصة حين تكون غير محمية بنظام شفاف ومراقب وخاضع للمساءلة.

بمناسبة يوم العمال العالمي

فلاح هاشم يشارك النقابات العمالية تكريم الطواقم الطبية

بمناسبة الاول من مايو يوم العمال العالمي شارك عضو كتلة «تقدّم» النائب فلاح السيد هاشم وفداً من القادة النقابيين الذين زاروا مركز الفحص الطبي لفيروس «كورونا»، في مركز البحرين الدولي للمعارض، وذلك من اجل تقديم الورود لهم تقديرا و دعما للكوادر الطبية.

كان في الاستقبال الدكتورة منى التحو، التي صحبت أعضاء الوفد في جولة على جميع الأقسام في المركز، وشرحت خلالها الخطوات التي يتمّ اتخاذها لفحص الأشخاص من المواطنين والوافدين وكيفية التعامل مع المصابين، كما بينت حجم المعاناة والجهد الذي يبذله الأطباء والممرضون والأطقم المساندة في فحص وعلاج المصابين.

وقد عبّر النائب هاشم وأعضاء الوفد عن شكرهم وتقديرهم لهذه الجهود الكبيرة والنبيلة، وأكدوا على أن الكادر الطبي يحظون بتقدير كل عمال البحرين الذين يكنون لهم كل الاجلال والاحترام لدورهم الإنساني في هذا الظرف الصعب الذي نمر به، ودعوا كل من يهمهم الأمر إلى تقدير وتكريم أفراد الفريق الطبي الذين يواجهون المخاطر على الجبهة الأمامية. وقام أعضاء الوفد بتقديم الورود على العاملين في الأقسام المختلفة بالمركز .

زينل يدعو لتشكيل لجنة تحقيق في «التصريح المرن»

أكد عضو كتلة "تقدّم" النائب يوسف زينل على وجود حاجة ماسة لتشكيل لجنة تحقيق نيابية بشأن تصريح العمل المرن وتأثيراته، حيث لم يتوقف الجدل منذ تدشينه في العام 2017 حتى اليوم، بين الطرف الرسمي الذي يرى فيه نظاماً إيجابياً للسوق المحلي، وبين الطرف الشعبي الذي راه نظاماً كارثياً أضر بالسوق وتجاره البحرينيين. وهو جدل تجدد مع الظروف الصحية والاقتصادية الناجمة عن (أزمة كورونا).

عطفاً على ذلك، اعتبر زينل أن لجنة التحقيق النيابية، تمثل السبيل الصحيح والأداة الرقابية الكفيلة بوضع حد لهذا الجدل والتباين الحاد في الموقف، فتشكيل اللجنة سيمثل خطوة أولى باتجاه تحديد الخطوة التالية، إما الإبقاء على التصريح وفقاً للرواية الرسمية أو التخلي عنه تبعاً للمطلب الشعبي.

وأضاف زينل: أن اللجنة المقترحة ستمكننا من وضع النقاط على الحروف، والوصول للحالة الاقتصادية والاجتماعية الناجمة عن حيازة أكثر من 30 ألف عامل وافد لهذا التصريح وفق أحدث البيانات الرسمية، وعن حقيقة تأثير ذلك على التاجر البحريني عبر خلق منافس له بصورة غير متكافئة، وفقاً للرواية الأهلية.

وأردف: قبل أكثر من 3 أعوام (تحديداً في أكتوبر 2016) كان الرئيس التنفيذي لهيئة تنظيم سوق العمل أسامة العبسي يفتتح الحديث بشأن هذا التصريح، وذلك بالتأكيد على اقتصاره على العمالة الموجودة في البحرين وتصريحها (ملغى)، أو (غير مجدد) قبل تاريخ (20 سبتمبر/ أيلول 2016)، وهو التاريخ الذي شهد صدور قرار مجلس الوزراء بشأن نظام تصريح العمل المرن.

زينل: أزمة «كورونا» فرصة لتصحيح خلل التركيبة السكانية في البحرين

رأى عضو «تقدّم» النائب يوسف زينل أن أزمة كورونا أعطت برهاناً على حاجة بعض السياسات المتبعة في مملكة البحرين، للتقييم والمراجعة. فالبلاد يواجه وتحدي تزايد أعداد الإصابات ب»كورونا» بين أفراد العمالة الوافدة، وتحدي سكن العزاب الذي ينتشر في كل مناطق وقرى البحرين ويشكل بيئة خصبة لانتشار العدوى، وتحدي تحمل كلفة مالية مرهقة لميزانية الدولة التي تخضع في الأصل لعملية توازن مالي وخفض للنفقات.

وأوضح زينل: «وسط كل ذلك، تبدو البحرين أمام فرصة سانحة لتصحيح ما سلف من سياسات خاطئة، وذلك عبر علاج خلل التركيبة السكانية والتي يمثل فيها الوافدون أغلبية منذ سنوات.

وفي تصريح آخر اعتبر زينل ما تمر به دول الخليج من أزمة جراء انتشار فيروس كورونا، درساً بليغاً للحكومات حول ما تعانيه هذه الدول من خلل سكاني جراء تفوق أعداد الوافدين على أعداد المواطنين في العديد منها، والواقع يكشف أنه لم يعد مجدياً تكرار ما سمعناه سابقاً من دفوعات وتبريرات لسياسة سوق العمل المعتمدة رسمياً، والتي فتحت الباب على مصراعيه ودون ضوابط ومحددات لزيادة سكانية لا يتحملها البلاد.

وأشار زينل إلى أن البحرين تعاني وضعاً مالياً صعباً يتطلب خفض الإنفاق وشد الحزام بغية تحقيق التوازن المالي المنشود، وهو الهدف الذي من أجله تم فتح الباب لتقاعد نحو 9 آلاف موظف حكومي اختيارياً، تجد الدولة نفسها أمام أبواب مصروفات خارج نطاق الحسبان، وتتركز في توفير العلاج لآلاف مؤلفة من الوافدين، وتوفير المأكل والمسكن.

مطرقة البرلمان

"الفيزا» المرنة.. والقرار الشجاع

عبدالنبي سلمان

ربما سمحت لنا جائحة كورونا التي نعيش تداعياتها مع بقية دول العالم بالتركيز أكثر على بعض القضايا المسكوت عنها، او بالأحرى التي لازالت قائمة دون حل. ولعلّ من بين تلك القضايا التي شغلت الرأي العام في البحرين خلال شهر رمضان المبارك، ولازالت، قضية العمالة غير النظامية وما صاحبها من مظاهر مقلقة لنا جميعا.

فالمتابع للشأن العام يرى بوضوح تضخّم حجم كرة الثلج تلك والتي لازلنا ننتظر لها حلولاً عاجلة، وباتت تلزمنا جميعا بالوقوف عند مسؤولياتنا في هذه المرحلة المفصلية، التي من المفترض أن نستعد لسيناريوهاتها المنتظرة. أمور كثيرة باتت بالفعل تقلق الشارع البحريني من تداعيات ظاهرة العمالة غير النظامية والتي زادها سوءً معالجات الجهات الرسمية الخاطئة لها طيلة السنوات الماضية.

ليس دفاعًا عن مجلس النواب، لكنها الحقيقة، فقد بادر المجلس في الدور التشريعي الأول وفتح أولى المناقشات العامة حول هذه الظاهرة، وكان الحوار بين السلطتين اقرب للمساءلة العلنية، واستتبعها بطرح العديد من الأسئلة للحكومة والتي لازالت تتوالى حتى هذه اللحظة، فما يحصل تجاه هذه المسألة في الواقع والممارسة هو شرعنة غير مقبولة لتجاوزات تستلزم أشد العقوبات، باعتبار ذلك اعتداء على مقدرات وامكانيات ومستقبل وثقافة وحاضر ومستقبل بلد بأكمله باستقدام عشرات الآلاف من العمالة الوافدة ومن يقف وراءهم، والذين سمحت له بعض القوانين والقرارات غير المدروسة، إرضاءً لرغبات حفنة من كبار التجار والمتنفذين، علاوة على صغار التجار الذين ركبوا الموجة طمعًا في المزيد من المكاسب الأنانية الضيقة على حساب الوطن ومستقبله، وعلى حساب عمالة وافدة فقيرة، جاءت تبحث عن فرصتها في حياة كريمة، لتتلقفها نوازع وجشع من لا يتورعون عن المتاجرة بالبشر والأوطان دون واعز من ضمير.

ومع بروز جائحة كورونا وما حملته من تداعيات اجتماعية ومعيشية وصحية،ها هي «قنبلة» الفيزا المرنة تنفجر بقوة في وجوهنا كما كان متوقعًا، فالناس أضحت ممتعظة من آلآف الوافدين المصطفين يوميا في الشوارع وأمام دور العبادة ووسط أحياء غالبية المدن والقرى بحثًا عن المعونات الغذائية، والعاجزين أصلًا عن فهم ما يداهمنا من مخاطر حقيقية جراء هذه الجائحة، حتى يبدون غير مكترثين بكل ما يخرج من الجهات الرسمية من تعليمات وتحذيرات يومية، اضطرت معها الدولة لمخاطبة سفراء دولهم سعيا منها لبث جرعات من الوعي في أوساطهم، للتخفيف من حجم الضحايا قدر الإمكان.

ولا يزال الأمر يزداد سوءً، فهؤلاء الفقراء المعدمون المتكدسون بالعشرات في علب السردين المسماة مساكن عمالية، لا توفر الحد الأدنى من الحياة البسيطة لهم، والذين يتضور المئات منهم جوعًا وفقرًا وحرمانًا جراء انعدام فرص الرزق لهم، وإن توافرت تلك الفرص فإنهم يحرمون من أجورهم ليتركون لوحدهم يصارعون مرارة العيش الممزوج بالغربة والحرمان والإذلال انتظارًا للمجهول، فيما نبقى نحن أبناء هذا البلد الباحثون عن حل ينهي معاناة تلك الفئات الفقيرة ومعاناتنا أيضًا، في حيرة وخوف على مستقبل وأمن واستقرار بلادنا التي تستنزف كل يوم جراء ما يحيط بنا من فوضى عارمة جعلت من نسبة الأجانب في بلادنا تفوق 800 ألفًا، لتحيلنا لأقلية تجهل مصيرها بعد سنوات معدودة، في وقت يُفاخر فيه رسميا أننا بتطبيق نظام الفيزا المرنة هذا، فقد نجحنا في إحالة اكثر من 21 ألفًا منهم لأصحاب أعمال.. فكفاكم تخبطًا واستهتارا بنا وبهؤلاء البشر أيها السادة!

وعليه فإن المسألة بالنسبة لنا ليست تحاملًا أو تمييزًا من وجود تلك العمالة الوافدة، فنحن نعرف أن تشوهات سوق العمل والنهج الاقتصادي المتبع وعدم وضوح السياسات وغياب الإستراتيجيات الواضحة، قد خلقت أسواقا موازية وبؤر بؤس وفقر وجريمة، لا تليق بطبيعة بلادنا وشعبها، وخلقت أوضاعا تدعي أنها تحفز على المنافسة في السوق، لكنها في الواقع تسعى لتدميرما تبقى من ملامح واعدة في أسواقنا، وتضيق فرص العيش على شبابنا، وتحوّل المليارات التي نحن في أمس الحاجة لها نحو الخارج، وتتلاشى ملامح من ثقافتنا وتاريخ مدننا وأحياءنا الشعبية، وتتغيير للأبد ملامح اقتصادنا الوطني بفعل الحضور الطاغي لتلك العمالة الرخيصة المستلبة الحقوق.

وأخيرًا وليس آخرًا، ها نحن شهود على مكابدة بلدنا وشعبنا جراء تفشي الأمراض والأوبئة في أوساط تلك العمالة الفقيرة المتكدسة، وها هي بلدنا وطواقمنا الطبية تعمل على مدار الساعة لعلاج ومتابعة الآف المرضى والضحايا من تلك العمالة غير النظامية جراء وباء كورونا، والذي نخشى أن نفقد السيطرة عليه ونحن في انتظار إرادة عليا وقرار شجاع ينهي تلك المعاناة المرهقة والقاتلة سريعاً.

دعوة لأن يشمل ما تمّ الفصل فيه من دعاوى

قانون العدالة الإصلاحية خطوة تشريعية للأمام

أقرّ مجلس النواب في جلسته رقم ٢٩ من الدورالانعقاد الثاني من الفصل التشريعي الخامس المنعقدة في يوم الثلاثاء ٢٨ أبريل ٢٠٢٠ مشروع قانون العدالة الإصلاحية للأطفال وحمايتهم من سوء المعاملة المقدم من الحكومة، وبدون الدخول في تفاصيل مواد القانون ورغم ملاحظاتي على بعض المواد، وخاصة المادة الثانية من مواد الإصدار، إلا أن جوهر هذا القانون يُمثل تطوراً نوعياً لمنظومتنا التشريعية في هذا المجال، حيث يستند في مبادئه على تحقيق مفهوم العدالة الإصلاحية للاطفال، وهو من التشريعات التي ما فتأت المعاهدات والتشريعات الدولية تحث على الأخذ بها، مما يساهم في تحقيق العدالة بمفهومها الشامل «القضائي والاجتماعي والاقتصادي»، وفي سبيل تحقيق مصلحة الطفل الفضلى التي نصّ عليه العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المادة (١٠) الفقرة ٣ والتي تنص على «وجوب اتخاذ تدابير حماية ومساعدة خاصة لصالح جميع الأطفال والمراهقين».

فلاح هاشم

وفي هذا الاتجاه لا يختلف اثنان على حاجة الأطفال في تحقيق العدالة في أي مجتمع، وينبع ذلك من كونهم يمثلون رجالات مستقبل أي مجتمع بهم يضمن تقدّمه وضمان استقراره، وتمتد مسؤولية حماية هذه الفئة ليس فقط على الأسرة والمؤسسات الحكومية، بل إلى مؤسسات المجتمع كافةً، وتقتضي إيجاد آليات ناجعة وتشريعات متطورة للحفاظ على كرامة هذه الشريحة من المجتمع.

وحسنٌ ما نصّ عليه هذا المشروع وآلية إصداره مستقلاً وبمواصفات تحقق مصلحة الطفل. بحيث يحقق الغاية المشار إليها و يخرج الطفل من إطار القانون العقابي وإجراءاته الجنائية إلى مفاهيم قوامها الوقاية والحماية والإصلاح، ويفسح المجال أمامه للعودة إلى الحياة الطبيعية في المجتمع، وتأمين الظروف التي تساعده على التكيف مع متطلباتها، بما يتضمن من تدابير تهدف إلى حماية هذا الطفل وإصلاحه وتأديبه.

وبذلك كان لنا مداخلة في المادة الثانية من مواد الإصدار حول مضمونها التي تنص على أن يقتصر سريان أحكام هذا القانون «على ما لم يكن قد فصل فيه من الدعاوي وما لم يكن قد تمّ من الإجراءات قبل تاريخ العمل به». ومع تقديرنا واحترامنا لما أبداه وزير العدل من مبادئ يجب احترامها بخصوص ما استقرت عليه الأحكام السابقة، وكذلك ما تمّ معالجته في هذا الشأن من خلال المادة (87) في هذا القانون، والتي تنص على «تشكيل لجنة قضائية من رئيس محكمة العدالة الإصلاحية الكبرى للطفل، ورئيس محكمة العدالة الإصلاحية الصغرى للطفل، وقاضي تنفيذ العقاب، وعضو من النيابة العامة تختص بتلقي طلبات استبدال العقوبات المقضي بها قبل نفاذ هذا القانون» .. إلا أنني أرى أنه لا ضير في أن يشمل هذا القانون وتسري أحكامه على ما قد تمّ الفصل فيه من الدعاوى، وما قد تمّ من الإجراءات قبل تاريخ العمل به، حيث إننا نجد الآن أن هناك الكثير من القُصَّر الذين صنفهم هذا القانون من فئة الاطفال والذين ينفذون عقوبة بموجب المرسوم الملغي بالمادة الثانية من قانون العدالة الإصلاحية، ونقصد المرسوم رقم 17 لسنة 76 وتحديداً الباب السابع الصادر بالقانون رقم 37 لسنة 2012 والمعني بشأن الطفل، في الوقت ذاته سوف تصدر أحكام بموجب قانون العدالة الأصلاحية للأطفال الذي تمّ إقراره بجلسة 28 أبريل بمجلس النواب. ولاشك أن هذا التباين في تقرير العقوبة يخلق تشويشاً وإرباكاً في الحفاظ على الغاية التي نطمح جميعنا إلى تحقيقها، ألا وهي تحقيق القدر الأكبر من العدالة الاجتماعية.

فالمشرع حين يقرر مواد العقوبة في القانون، يفردها بكافة العناصر الشخصية، ويحتاط لكل العوامل الموضوعية ضمانًا لتناسب العقوبة مع قدر الجرم المنسوب للمتهم، فإذا كان هذا المتهم قاصراً أضاف هذا عبئاً إضافياً، يجعل من المشرع أن يحتاط في تقريره للعقوبة بدل المرة مئات المرات، ولتقريب الفكرة أكثر فإننا نخشى أن يقضي قاصرون عقوبة مختلفة عن ذات الفعل المجرم الأولى أشد قساوة من الثانية؛ لأن القضاء قرر فيها بموجب القانون الملغى، بينما الثانية تمت في ظل قانون العدالة الأصلاحية المستجد، ونال فيها القاصرالمتهم كافة الضمانات والإجراءات المقررة في قانون العدالة، على خلاف الأول، مما سيوحي ذلك بوجود قصور في العدالة وتطبيق القانون، وتصبح بموجبها العقوبة كاشفًة عن قسوتها، وتؤدي غرض متناقضاً للغاية المرجوة من تشريعها، وبهذا تنفصل جنائيا عن مقوماتها والغرض النهائي من تقريرها.

وتسليمًا بالفقه القانوني الذي يرى أن العدالة توزيعية من خلال التشريع وتقويمية ترتد من خلال الحلول القضائية، فإن للمشرع أن يجانب الخلل الذي قد يطال المحكومين بموجب القانون السابق بأن يشمل في المادة الثانية من قانون العدالة الإصلاحية مجال تطبيق القانون بفصيح القول أولئك القُصَّر الذين صدرت عليهم أحكام، ولم ينفذو العقوبة أو من لازالو قيد تنفيذ العقوبة ليعاد النظر في الأحكام التي سبق وأن صدرت لتتوائم مع العقوبة بموجب القانون الجديد.

خاصة أن الطفل الذي ينحرف أو يُجرّم في السنوات الأولى من عمره غالباً ما يكون ضحية لظروف اجتماعية غير ملائمة تحيط به هي التي دفعته إلى طريق الإجرام أو الانحراف، فالإنسان لا يولد مجرماً، ويجب أن نتعامل معه وفق رؤية أخرى، وكما يقول القاضي الأمريكي جوليان ماك (الطفل الذي ينتهك القانون، ينبغي أن يعامل معاملة الأب الحكيم لابنه العاق).

بصراحة

«كورونا» يفاقم الصعوبات الاقتصادية في البحرين

منذ الأزمة الاقتصادية والمالية في أكتوبرمن ٢٠٠٨ لم يتعافَ الوضع الاقتصادى في العالم وإنْ نجت الرأسمالية في ذلك الوقت، عندما قدّمت الدول الرأسمالية مليارات الدولارات لإنقاذ النظام الرأسمالي ومؤسساته من الانهيار والغرق في وحل الأزمة، ولكن تداعياتها لازالت مستمرة، وجاءت جائحة «كوفيد ١٩» لتكشف من جديد عن المخفي في النظام الرأسمالي وفشل نظامه الصحي وانهياره، في أكثر من دولة في دول المنظومة الرأسمالية، وفي البلدان ذات الاقتصاد الريعي، وإنْ اختلف الوضع فيها، تبقى الحال الاقتصاديه والمالية في وضعٍ لا تُحسد عليه.

فاضل الحليبي

سوف نتطرق هنا للوضع الاقتصادي والمالي والمعيشي بشكل عام في بلادنا مع التأكيد على أهمية الإجراءات والقرارات التي اتخِذت من قبل الدولة، يبقى الوضع مقلقاً في ظل حرب الأسعار بين الدول الكبرى المنتجة للنفط (البترول) وإنْ حاولت تقليل الإنتاج اليومي من البترول لتحافظ على سعر معين للبرميل ولكن التحديات الماثلة أمامها كبيرة فى ظل استمرار جائحة كورونا واستنزافها أموال طائلة ربما تفوق الميزانيات السنوية المقررة، مما يتطلب إعادة برمجتها وجدولتها وتقليل النفقات المالية، لن تعود معظم الدول الخليجية كما كانت عليه في السابق بسبب العجوزات الكبيرة، وبعضها استمر في أخذ قروض من المؤسسات المالية الدولية وأصبح محاصراً بشروط وإملاءات البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، والدين العام في ارتفاع مستمر في ظل هذا الوضع الاقتصادي والمالي المتأزم.

وينطبق هذا على بلادنا البحرين وهي تواجه جائحة كورونا، وأصبحت تلجأ إلى مسكنات تخفف من الألم ولا تعالج الموضوع وبالأخص أنها في حاجة ماسّة لسيولة نقدية لكي تنقذ الوضع الذي فيه، فعندما قررت دعم القطاع الخاص (رواتب الموظفين والعاملين البحرينيين) كان خيارها الذهاب إلى صندوق التأمين ضد التعطل لتأخذ منه (215) مليون دينار لتغطية عجزها المالي .

كما طُرح مشروع بقانون تمّت الموافقة عليه من قبل لجنة الخدمات في مجلس النواب، وصدر في مرسوم رقم (15) لسنة 2020، حيث جاء في المبادئ والأسس العامة التي يقوم عليها المشروع بقانون في رقم 3 منه التالي: (الإسهام في الاستقرار الاقتصادي بحيث تتم الاستفادة من فورات صندوق التأمين ضد التعطل بقيمة إجمالية تقدر (215) مليون دينار بحريني لحماية الموظفين البحرينيين العاملين في القطاع الخاص من خطر التعطل بسبب الأوضاع الاقتصادية الراهنة وهو الأمر الذي يأتي متسقاً مع الأهداف التي أنشئ من أجلها الصندوق).

في خطوة أولية لإنقاذ القطاع الخاص من الغرق في ظل استمرار جائحة كورونا والتي لا يُعرف متى تنتهي وتنقشع غمتها عن بلادنا وتعود الأمور لطبيعتها، تمّ دفع رواتب البحرينيين في القطاع الخاص لمدة ثلاثة أشهر، بدأت التحولات المالية للقطاع الخاص من 16 إبريل 2020 الماضي، لكنها في الحقيقة أموال الموظفين والعاملين البحرينيين تعود لهم من جديد، فمن المعروف بأنهم يدفعون 1٪ كاستقطاع شهري من رواتبهم منذ أربعة عشر عاماً، حيث صدرفي شهر نوفمبر من عام 2006 مرسوم بقانون رقم (78) لسنة 2006 بشأن التأمين ضد التعطل .

ولازال الاستقطاع مستمراً بالرغم من رفضه من أغلبية الموظفين والعاملين في القطاعين العام والخاص، لأنه لن يحل مشكلة العاطلين عن العمل الذين تأسس من أجلهم لحل مشكلة البطالة في صفوفهم ولكن أعداد العاطلين عن العمل من خريجي الجامعة والثانوية ما زالت بالآلاف، وهم في تزايد سنوياً، وبالرغم من وجود فائض كبير بلغ (800) مليون دينار في الصندوق، فإنه لم يحل أمرهم. وسبق أن أخذت الحكومة ملبغ 230 مليون دينار بحريني منه لتمويل برنامج التقاعد الاختياري، قيل أنه لمرة واحدة فقط، وكل هذا تطبيقٌ أمينٌ لنصائح صندوق النقد الدولي والبنك الدولي لتقليص العمالة المحلية في الدوائر والمؤسسات الحكومية وتخفيف مصاريف الدولة.

لا نعرف كم تبقّى من الأموال في هذا الصندوق، ولا نعرف إلى متى تستمر تلك النصائح الكارثية، فيما الدين العام في تزايد مستمر، حيث بلغ في شهر نوفمبر من عام 2019 12.045 مليار دينار، وفقاً للبيانات الصادرة عن مصرف البحرين المركزي، ولا توجد إحصائية رسمية كم وصل الدين العام حالياً، هذا غير الفوائد المستحقة الدفع مقابل التأخير في دفع القروض المالية المستحقة على الدولة من قبل الجهات والمؤسسات المالية، وبالرغم من الدعم المالي الخليجي البالغ عشرة مليارات دولار لمدة خمس سنوات من عام 2018 إلى 2023 ، بقي الوضع المالي والاقتصادي على ماهوعليه، ولم يحل أصل المشكلة بالرغم من فرض الضريبة المالية 5٪ وحصول الدولة على مبلغ يُقدر بحوالي 483.500 مليون دينار خلال السنتين 2019/2020 وفقاً لوزارة المالية والاقتصاد الوطني.

جاءت جائحة كورونا لتعمق الأزمة المالية والاقتصادية لتطال مناحي الحياة في البلاد وتعطل عمليات الإنتاج والعمل والتعليم والتجارة وغيرها مما يترتب عليها خسائر مالية تُضاف إلى الوضع المالي والاقتصادي المأزوم في البلاد ودفع الدولة عن المواطنين فواتير الكهرباء والماء لمدة ثلاثة أشهر (إبريل /مايو/ يونيو) ووقف الإيجارات من قبل بنك الإسكان لمدة ستة أشهر، وتقديم مساعدات مالية للمؤسسات والشركات الصغيرة من قبل» تمكين" وغيرها من الإجراءات والقرارات التي اتّخذتها الحكومة لتخفيف بعض الأعباء المالية عن المواطنين جراء الخسائر الكبيرة التي تكبدوها بعد توقف العمل أو العمل الجزئي، ما يجعل الحكومة في وضع مالي صعب.

بدلاً من أن يركز فريق البحرين الوطني على التصدي لجائحة كورونا، برزت إشكالية كبيرة وخطيرة قِباله وهي تزايد الإصابات في أوساط العمالة الوافدة وإنْ تعددت أسبابها، لتضيف أعباءً مالِيةً أخرى على الدولة في ظل ظروفها المالية والاقتصادية الشحيحة، برزت أصوات في المجتمع يشمّ منها رائحة العنصرية والكراهية للعمالة الوافدة في البلاد، ونقصد بها العمالة الفقيرة والكادحة التي تعيش في أوضاع صعبة: سكنٌ مكتظ بعشرات الأفراد وبعضه متهالك وآيل للسقوط، لا تتوفر فيه شروط السلامة والصحة ولا يليق بأن يسكن فيه إنسان ونحن نعيش القرن الواحد والعشرين، ويحصلون على رواتب جداً متدنية لا تغطي احتياجاتهم من سكن ومأكل وتطبيب، وتتراكم على بعضهم ديون مالية لايستطيعوا تسديدها، فيلجؤون إلى الانتحار، ومنهم من يعمل ساعات إضافية.

المسؤول عن هذه الأوضاع هي السياسات الحكومية، لأنها سمحت للسماسرة وتجار التأشيرات بالتجارة بالعمال الأجانب الذين يقبضون الأموال منهم أو من وكلائهم في البحرين في نوع من الإتجار بالبشر، بدون وازع ديني وأخلاقي إنساني، فهؤلاء العمال دخلوا البلاد بشكل قانوني بتأشيرات رخص عمل صادرة عن الجهات الرسمية المعنية، ما يقتضي أن يحل هذا الملف بشكل قانوني وإنساني، والابتعاد عن الحلول الترقعية، عبر تغليظ العقوبات على تجار البشر ومساءلتهم ليكونوا عبرة للآخرين، وهذا يوجب على مجلس النواب فتح هذا الملف الخطير ومحاسبة المسؤولين عنه انتصاراً للعدالة الإنسانية، كما على الاتحادات والنقابات العمالية ألا تتوارى عن الأنظار وهي تقرأ وتسمع الهجمات العنصرية التي تُشنُّ على العمالة الوافدة الفقيرة ضحية المتاجرين بها من قبل أناس لا ضمائر لهم غير الدينار، فهذا من صلب واجبات الحركة النقابية.

الحالة العربية: اصلاح سياسي أم ديني أم اقتصادي

على ضوء ما تمر به الأمة من تخلفٍ علمي ومعرفي وتكنولوجي واقتصادي، جعل الامة العربية تابعة للغرب في كل مجالات الحياة، معتمدة عليه في كل مستلزمات حياتها ووجودها، واستيراد كل ما تحتاجه مما يجعلها رهينة في يد مزوديها غير قادرة على الدفاع عن حقوق شعوبها وعن قضاياها المصيرية، برز في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تيار تنويري حاول الخروج من هذه الأزمة وانتكس في الخمسينات، وتستمر الازمة وتتعدد الرؤى حول الخروج منها.

د. محمد الكويتي

هناك من يرى أن الاصلاح الاقتصادي هو المخرج، حيث أن ذلك سوف يخلق طبقة متوسطة فاعلة وقادرة على المطالبة بحقوقها واستقلالها وحريتها السياسية في تحديد دستورها ونظام حكمها، وقامت ثورات الربيع العربي وفق هذا المنظور ابتداء من تونس التي بها طبقة متوسطة كبيرة ومنظمات مجتمع مدني متطورة طالبت باصلاحات اقتصادية ومعيشية تطورت إلى مطالب سياسية، وتمكنت من تحقيق تطور نسبي في تقدمها السياسي. لكن هل هذا سوف يوصلها إلى التقدم في المجالات العلمية والتقنية والتحول نحو مجتمع المعرفة؟

وهناك من يرى أن الخروج من الأزمة يحتاج إلى اصلاح سياسي جذري تتحول بواسطة الدول العربية الى ديمقراطيات ليبرالية تقوم على مبدأ المواطنة والعدالة الاجتماعية. هذا التيار يحار في كيفية البدء في الاصلاح السياسي، هل يتم من قبل الحكومات نفسها بالتدرج، أو يتمّ من خلال تحركات شعبية تقدمية تفرض ارادتها سلميًا على الحكومات، كما هي المحاولة في لبنان مثلا وتجبر المؤسسة السياسية على اصلاحات جوهرية في نظام الحكم.

وهناك من يرى بأن هذا الاصلاح لن يتم ما لم يسبقه اصلاح فكري، ثقافي وديني يعيد الحرية للانسان في الاختلاف ويمنحه حق المساءلة وطرح البدائل عن القضايا الفقهية التقليدية التي حكمت الفكر والوعي العربي المسلم على مدى عشرة قرون، منذ البيان القادري الذي أسس لعقيدة السنة والجماعة ومعه التحولات في العقيدة الشيعية.

هذا التيار يرى الاصلاح في المطالبة بفتح باب الاجتهاد ورفض التراث التقليدي واستعادة الصدارة للقرآن في التشريع ورفض مبدأ القياس والإجماع الذي حوّل العقل العربي إلى عقل قياس عاجز عن الابتكار، ومنع الإنسان من حق التدبر، واحتكر التفسير والتاويل وفرض رؤية واحدة وضعها فقهاء وعلماء اجتهدوا لعصورهم ووفق ظروف حياتهم وعلاقاتهم السياسية والاجتماعية وسقفهم المعرفي في فترة من تاريخ الأمة لعبت الحروب الأهلية والنزاعات فعلها في تسيير الفكر والعقل وتوظيف الدين في السياسة. الآن أصبح من الضروري تجديد هذه الرؤية، لأنها تخنق العقل وتشلّ التفكير وترفض الابتكار والابداع وتشيع ثقافة الاستسلام والخنوع والقناعة الزائفة.

الظاهر أن هناك علاقة جدلية بين المحاورالثلاثة للاصلاح. فأيها المفتاح في التطور؟ هذه المحاور الثلاثة تمثلها ثلاث قوى متحكمة في مصير الأمة. وهناك تحالف بين هذه القوى الثلاث في الوطن العربي. تحالف بين القوى السياسية والقوى الاقتصادية والقوى الدينية. تقول اليزابيث جاكوب في كتاب (After Piketty،p512) "بأن القوة السياسية تجلب القوة الاقتصادية والقوة الاقتصادية تعزز وتزيد من القوة السياسية، وهذه دائرة مغلقة تصاعدية في صالح تكريس السلطة السياسية وتركيز القوة الاقتصادية من الصعب كسرها». وإذا ما اضيفت لها السلطة الدينية يصبح الخلاص من قبضتها مهمة عسيرة جدًا.

استفاد الغرب في نهضته من الصراع بين السلطة الدينية (الكنيسة) والملوك (السلطة السياسية) وبين الاقطاعيين (السلطة المالية) في العصور الوسطى وحتى بدايات عصر النهضة. هذا الصراع الثلاثي أضعف الاطراف المتصارعة، وتمكنت الطبقة المتوسطة بفضل الثورة العلمية والفكرية والدينية والصناعية ان تفرض ارادتها تدريجيا في بريطانيا وثوريا في فرنسا، في حين نجد أن التجربة الإسلامية سارت على عكس هذا المسار، فقد هيمنت السلطة السياسية على السلطة الدينية وجعلتها في خدمتها منذ البدايات، وتمكنت من السيطرة على المال لاخضاع المجتمع بالترغيب والترهيب. حدث ذلك في جميع مراحل الحكم مع القليل من الاستثناءات التي لم تؤثر على مسار التاريخ. في هذه الاحوال المعقدة كيف يمكن للوطن العربي أن يخرج من هذا المأزق الثلاثي وماهو المزيج والتراكم والتدرج المطلوب للتغلب على هذا التحالف؟

في تقرير الامم المتحدة حول المعرفة لعام 2003 يرى التقرير الذي شارك في وضعه مفكرون وكتاب عرب في أن الطريق وعر وشاق ويحتاج إلى مقاربة ثلاثية المحاور: الاصلاح الاقتصادي مرتبط بالقدرة على انتاج المعرفة وهذا يحتاج الى مجتمع قوي وتبلور ارادة سياسية تهيئ الارضية لمنظومة انتاج المعرفة بدءا ببناء رأس مال بشري وبناء مؤسسي، اي أن الاصلاح الاقتصادي مرتهن بقرار سياسي يضع الأسس البنيوية والأخلاقية والقيمية من حريات وانفتاح تسمح بالبحث العلمي الحر، ونشر نتائجه دون تعرضه لرقابة مؤسسية وذاتية. ويجد أن المشكلة تكمن في امكانية نشر نتائج الأبحاث في العلوم الإنسانية والاجتماعية والثقافية التي لا بد وأن تصطدم بالثقافة الدينية السائدة والمنظومة السياسية القائمة. فيقول بأن "المعرفة لا تنشأ في فراغ مجتمعي، ولكن في مجتمع له واقع وتاريخ وسياق اقليمي وعالمي، وهذا الأخير له أهمية كبيرة في حالة الوطن العربي".

يتراوح السياق العام في الوطن العربي بين الاستبداد المطلق والاستبداد المقنن والديمقراطية الإجرائية النسبية. وهناك منطقة رمادية يسميها البعض التحول الديمقراطي. هذا النموذج يحتاج إلى سنوات، إن لم يكن اجيال لكي يؤسس ثقافة الديمقراطية مكان ثقافة الاستبداد. هذا إذا توافرت له منظومة تعليمية صالحة وإعلام منفتح وحرية فكرية ترتكز على تشريعات تحمي حرية الرأي والفكر والإبداع، وحرية الاعتقاد. يمكن لهذا التوجه أن ينشر ثقافة حقوق الإنسان والتعددية وقبول الآخر المختلف في الدين والمذهب والفكر. لكن هل ستسمح الأنظمة بتأصيل ثقافة الديمقراطية التي قد تقتلعها في المستقبل؟

هل التعويل على وعي الشعب ممكن وقائم؟ وكيف سيتأسس هذا الوعي في ظل إعلام مهيمن على الساحة الثقافية والفكرية والعقائدية ويغذي الشعب إما بالتطرف الديني القائم على الإرهاب والقتل وإما على الخنوع والطاعة العمياء، دون أن تكون هناك حلول وسط، وخصوصا في الدول الكبيرة المؤثرة في الوطن العربي التي تخضع لهذه الأنواع من الانظمة.

التيار الذي يقول بالاصلاح السياسي (في صيغته المحافظة المتدرجة) يعقد الأمل على الدول الملكية التي تستند إلى شرعية تاريخية قوية وإلى شعوب اكتسبت مستوى من التعليم، وطبقة وسطى حية في بعضها أن تقوم هذه الأنظمة باصلاحات اجرائية تفتح المجال أمام اصلاحات قيمية ودستورية تمنح حقوقاً سياسية أكثر مواءمة مع متطلبات النزاهة والشفافية وحرية الرأي والاختلاف والتعددية. العامل الآخر الذي قد يسرّع من هذه العملية بشكل متدرج هو التحول من الاقتصاد النفطي الريعي إلى اقتصاد انتاجي يفتح مجالًا للصناعة أن توسع من الطبقة الوسطى وتربط مصيرها بإعادة توزيع الثروة والاستثمار في المعرفة والإنتاج والإبتكار.

يدعم هذه التيار ما قاله المفكر فهمي هويدي من أن "الإصلاح الديني مهم ولا غنى عنه، ولكن الإصلاح السياسي أهم"، كون الأخير يخلق مناخات حرّة تنعش الحوار "ما يحرك ركود حركة الاجتهاد والتجديد"، لأن "الاستبداد بمختلف تجلياته كان أحد أهم المصادر التي فرضت العنف المستند إلى المرجعية الدينية. ذلك أن انسداد قنوات التعبير السلمي دفعت بعضًا من النشطاء المتحمسين إلى محاولة التغيير باستخدام العنف". من جانبه، اعتبر الباحث السوري جاد الكريم الجباعي أن "العصبية هي كلمة السر في التحليل الاجتماعي التاريخي، لا الدين... لذلك نعتقد أن إصلاح السياسة يفضي إلى إصلاح ديني، لا العكس".

غير أن هناك تيار قوي يقول بأن الاصلاح الديني هو الأهم والأساس الذي يحرر الشعوب من قبضة رجال الدين، مقتنعا بأن تحرير الفكر هو الأهم. هذا التيار يزداد قوة وجرأة في الطرح ويدعو إلى استعادة المركزية في الدين الإسلامي للقرآن الكريم معتمدين على أقوال الفقهاء الأوائل، الذين قبلوا الاختلاف والتعدد الفكري بالرغم من التأثير السياسي منذ بدايات العهد الراشدي. هذا الجدل كاد أن يحسم لصالح الاصلاح السياسي في الربيع العربي لولا تدخل المحور الثالث في التحالف وهو المحور المالي الذي أعاد المجتمعات العربية الى ما قبل المربع الأول ليبدأ من جديد يطرح السؤال أيهم أولًا؟ وهل هذا هو السؤال المناسب أم أن الأفضل كيف يكون التفاعل بين هذه العناصر الثلاثة لتحقيق نتيجة التقدم الذي تستحقه الأمة؟

تاريخ هجرة
الوافدين إلى دول الخليج

نظام كفالة العامل الوافد نشأت أساساً في حقبة الإستعمار البريطاني في الخليج في الفترة التي سبقت عصر النفط، وذلك خصوصاً من أجل تنظيم صناعة الغوص، حيث كانت لبريطانيا السلطة القانونية على جميع الأجانب الساكنين في دول الخليج. وأخذ الانجليز ينظمون القوانين لأهداف أمنية واقتصادية في آن.. وبناء على هذه التوليفة التقت مصالح عدة أطراف وتشكلت حولها شبكات هجرة عمالية متشبعة.

عون العجمي

وكانت هجرة الوافدين مدخلًا لبريطانيا للتدخل في الشؤون الداخلية لدول الخليج.. فيما كان اهتمامهم سابقاً مقتصراً على تنظيم العلاقات الخارجية لحكام الخليج، ومن أهداف بريطانيا لزيادة عدد رعاياها من الوافدين – ومن جنسيات معينة – في دول الخليج لخدمة أهدافها الإستعمارية، بحيث تتم خلخلة التركيبة السكانية إلى إثنيات وطوائف مختلفة، وزيادة نفوذهم في المنطقة.

ولم يكن مبدأ استخدام الكفالة أمراً جديداً للمسؤولين البريطانيين، إذ كانوا يمارسونه بانتظام في جميع أنحاء الإمبراطورية. وفي بداية عصر النفط في الخليج، برز التصنيف البيروقراطي للوافد .. حيث لجأت السلطات البريطانية إلى فتح الباب لتدفق العمالة الوافدة إلى الخليج من مناطق كانت تحت الإستعمار البريطاني . وفرضت على صاحب العمل /الكفيل، دفع مبالغ لاستخراج التأشيرات للوافدين.

مسقط كانت لها علاقة سكانية اكثر توطداً بالقارة الهندية، فلم يوجد فيها سوى نحو 500 من الرعايا الهنود تحت السيادة البريطانية حتى خمسينيات القرن الماضي، أغلبيتهم من التجار (رعايا بريطانيا).

وارتفعت اعداد العمال المهاجرين الخاضعين للسيادة البريطانية على نحو مطرد مع بداية السبعينات من القرن الماضي، خصوصاً مع بروز القوى الوطنية التي تسببت بنشوب بعض الاضطرابات والمطالبات الوطنية.

وبعد رواج فكرة القومية العربية في تلك الفترة، تم تسييس إجراءات التوظيف وتصنيف العمال من قِبل بريطانيا لزيادة العمالة الوافدة غير العربية في دول الخليج، وتنامت لدى بريطانيا وحكومات دول الخليج الشكوك من الأفكار السياسية والثورية التي قد تأتي مع الوافدين العرب، وزعموا أن الوافدين العرب يشكلون خطراً أمنياً على نحو متزايد.

وبناء على هذا، جرى السير على الخطى التي رسمها الإستعمار البريطاني سابقاً، وتبنى مبدأ جلب العمالة من عدة دول غير عربية متفرقة، بحيث أصبحت الجنسية والطبقة والحالة الاجتماعية للوافد جزءاً رئيسياً من وسائل الضبط المتبعة من جانب الدولة والكفيل معاً للتحكم في الوافدين.

وبلورت بريطانيا السمات الفريدة لنظام الكفالة في دول الخليج، التي لا تزال موجودة حتى اليوم: هجرة عمالية غير مقيدة، في مقابل حقوق الجنسية المقيدة، بحيث يتم التحكم في هذه الهجرة عبر نظام كفالة المواطنين للوافدين من العمال.

وبسبب غياب الوعي لدى شريحة من المنتفعين، تجذّر نظام الكفالة كجزء رئيسي من عملية تنظيم سوق العمل في الخليج منذ بدايات رسم شكله الحديث في فترة الحكم الإستعماري البريطاني.

ومع تضخم المزايا الاقتصادية والاجتماعية المتوفرة للمواطنين، في مقابل فتح سوق العمل عالمياً، أصبح استقطاب العامل الأجنبي أكثر جاذبية من ناحية التكلفة الاقتصادية والقيود القانونية مقارنة مع المواطن، لذلك توجه القطاع الخاص نحو توظيف الوافدين بشكل متزايد، حيث تركزت أغلبية العمال الوافدين فيه. أما المواطنين، فقد عزفوا عن القطاع الخاص نظراً لتدني الحقوق والرواتب في فترة من الفترات.. إضافة إلى ذلك، بدأ المواطنون انفسهم بالانتفاع بالمزايا التي توفرها عملية استقطاب العمال الوافدين، وانتشار التجارة المستترة، وهكذا سار المواطنون على الخطى التي رسمها المسؤولون، وبدأت اعداد العمالة الوافدة في الخليج تتزايد بشكل مطّرد.

وبعد فشل دول الخليج في تنويع مصادر الدخل، ظهرت مشاكل اقتصادية واجتماعية عديدة، على رأسها ارتفاع معدل نسب البطالة، التي من بين أسبابها توغل العمالة الوافدة في مفاصل الاقتصاد وتسيسه.

وبدأت حكومات المنطقة في التفكير مؤخراً في توطين الوظائف والإحلال في القطاعين العام والخاص، وفي المقابل أخذت اللوبيات الراسمالية والشركات العائلية في المنطقة بمقاومة فكرة إحلال وتوطين موطني دول الخليج بحج مختلفة منها أن المواطن لا يملك الخبرة ولا المهارة.. الخ.

النتيجة..

إن كل الأطراف الفاعلة في الاقتصاد كان لها مصلحة شخصية وآنية من تواصل هذه العملية، بمن فيهم أصحاب القرار في السلطة، ومؤسسات الدولة، ورؤوس الأموال، والمواطنون، والوافدون، والدول التي يأتون منها، وتمكنوا جميعا من بسط مصالحهم الشخصية والآنية على مصلحة أبناء الوطن البسطاء، وبدأت منظمات العمل والاتفاقيات الدولية، تضغط على دول الخليج لإعطاء الوافدين حقوقاً سياسية واقتصادية واجتماعية، أسوة بالمواطنين، وأصبح المواطن البسيط غريباً في وطنه، وأصبحت هويته وهوية أبناءه على المحك، وتحول مواطنو الخليج إلى أقلية في بلدانهم.

ولا ننكر جهود العمالة الوافدة في بناء ونمو دول الخليج على كافة الأصعدة، وعلينا جميعا الوقوف إلى جانبهم في قضاياهم وحقوقهم الإنسانية والعمالية، ولكن في المقابل يجب على أصحاب القرار، أن تكون لديهم رؤية شاملة واضحة ، لتصحيح المسار على كافة الأصعدة لتحقيق المصلحة العليا للوطن وأبنائه، وهذه الرؤية لابد أن تأخذ في الاعتبار عامل المؤامة لإنصاف الجميع وفق القوانين والاعراف الدولية والإنسانية.

مصادر:

– الكفالة والتبعية في مجتمعات الخليج العربية – مجموعة من الباحثين.
– تصدير الثروة واغتراب الإنسان، تاريخ الخلل الإنتاجي في دول الخليج العربية – عمر هشام الشهابي.

استثمار كورونا

كنا على موعد مع ازمة اقتصادية كبيرة في ٢٠٢٠ بدأت تباشيرها قبل عدة أعوام، لكننا استيقظنا على كورونا. أتساءل: لو اختبرنا الأزمة الاقتصادية وحدها دون الوباء هل كنا سنقبع في بيوتنا أم سنخرج الى الشوارع مطالبين بالإصلاحات والعدالة والإنصاف ومحاسبة الفاسدين؟

عصمت الموسوي

■ الأعمال عن بعد والمعتمدة على التطبيقات التكنولوجية الجديدة تحتاج طاقمًا اداريًا جديدًا في القطاعين العام والخاص. حان الوقت لرؤية شبانًا صغار السن متمكنين علميًا وإداريًا وتقنيًا يقودون الاقتصاد والتعليم والصحة والتجارة، إدارة ما قبل كوفيد19 لا تصلح لما بعده .

■ كل يوم يخرج علينا سفير ليفاجئنا بتعداد جاليته، هل كان ثمة اتفاق ضمني في الماضي على إبقاء هذه الأرقام سرية ؟

■ بين الفتح والإغلاق، والفتح والإغلاق عاش الناس حياة صبر طويلة ....ومؤجلة.

■ كوفيد 19يدخل إلى سيرتنا الذاتية ويصير جزءً من تكويننا: مصاب بكوفيد، متعافي من كوفيد، متسبب في عدوى كوفيد، مستهتر باحترازات بكوفيد، ثمة خشية من أن تكون هذه الصفة المرضية ملازمة للإنسان، وسببا للتمييز بينه وبين الاخرين مستقبلًا.

■ تقول أغنية صربية قديمة: «لا أحب السبت ولا أحب الاحد، لا الاثنين يعنيني ولا الثلاثاء، الأربعاء قد يكون يومًا مهمًا بالنسبة لغيري/ أما السبت، آه السبت فيشبه الخميس الماضي». عاش الناس دومًا أشكالًا عديدة من الحجر والعزل النفسي والوحدة قبل كوفيد وسيعيشون مثلها بعده.

■ الناس ليسوا في حالة تحد مع الحكومات وإجراءاتها، إنما في حالة صراع مع عقولهم ووعيهم، فثمة رسائل عديدة مضادة يتلقونها يوميًا حول كذبة الوباء ومؤامرة الوباء والمختبرات التي خلقت الوباء، اليقين الكامل في منظومة الإعلام العالمي لم يعد سهلًا في زمن ديموقراطية الإنترنت.

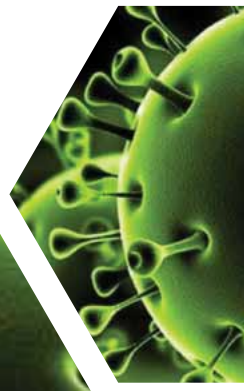

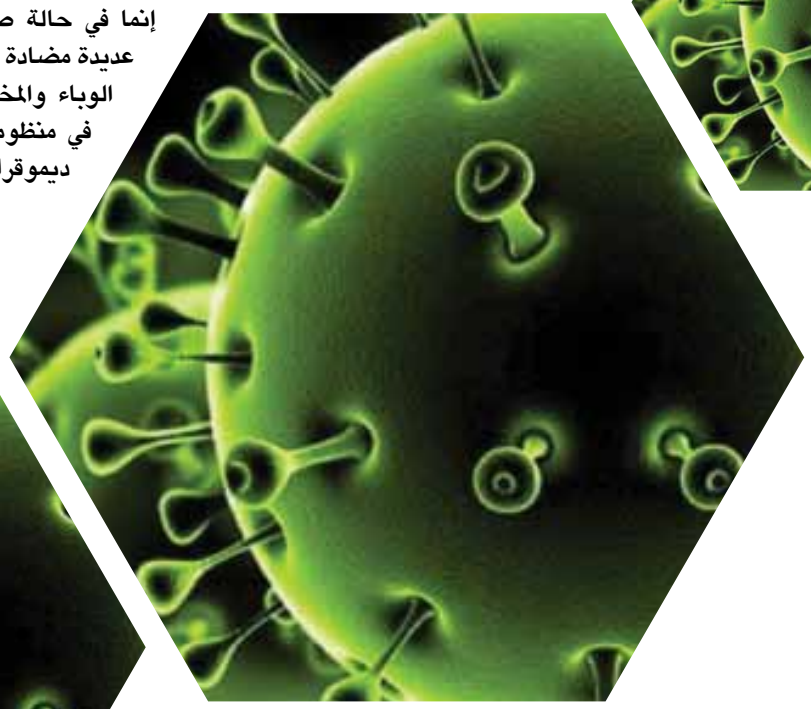

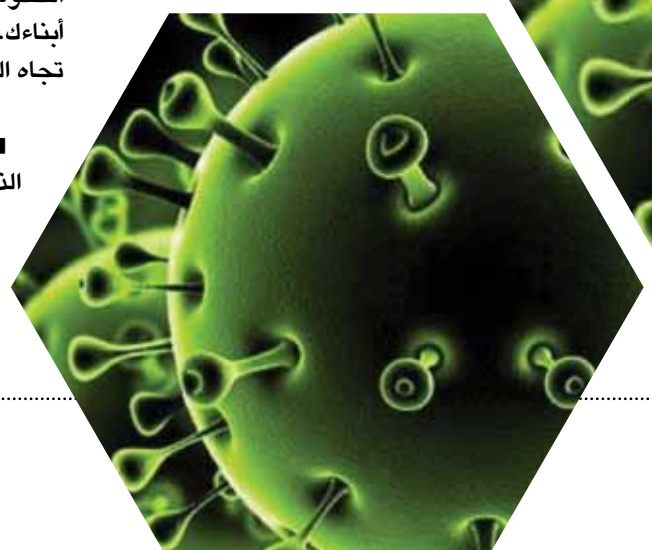

■ العالم الإستهلاكي أكبر المتضررين من كورونا. مصانع الساعات السويسرية المقفلة حاليًا تبحث في ابداعات إعلانية غير مسبوقة لتسويق منتجاتها مستقبلًا. السؤال هو: كيف ؟

■ أنشطة اقتصادية تضاءلت ثم تبخرت بعد أن فقدت مسوغ وجودها، ولم يشعر الناس بغيابها، كانت فقط وبالًا على البيئة ووسيلة للتربح والإثراء غير المستحق.

■ إذا طال أمد كورونا سيخرج الناس في تظاهرات احتجاجية تحت يافطة "الحق في المخالطة».

■ موطنون عاديون وبسطاء ولا شأن لهم بالاخرين، عاشوا حياتهم في العتمة بعيدًا عن الأضواء عافين وكافين، فجأة اصبحوا مشاهير وأرقامًا مهمة على نشرات الأخبار ومؤشر كوفيد 19 بعد إصابتهم أوتعافيهم أو موتهم.

■ قال مازحًا للممرضة التي أجرت عليه الفحص: لقد سعلت وعطست عدة مرات، أكان ذلك بحثًا عن الفيروس ام حقنًا به ؟ اجابت الممرضة بل هو مجرد حالة نفسية عارضة.

■ أما صحفنا الورقية الأربع ذات الرأي الواحد فجدير بها أن تتعاطى مع كورونا كشأن بعض البنوك والشركات والوزرات بأن تدمج نفسها في مبنى واحد ومطبعة واحدة،لا خوف عليها من تبدد هويتها وشخصيتها واستقلاليتها المفقودة منذ زمن طويل.

■ الرعب والهستيريا من الوباء جدير بالمكافحة أيضًا، كي نعود للحياة الطيبة التي كنا نألفها قبلا.

■ المسافة تباعدت في الشوارع والأماكن العامة واقتربت جدًا في البيوت، نذير شؤم على العلاقات العائلية والعاطفية. نحتاج المسافة كي نشتاق ونحب ونعشق.

■ اخلق وظيفتك، ذلك هو الشعار الذي جاء مبكرًا مع وباء كورونا. الحكومات لن تكون مسؤولة بعد اليوم عن عطالتك وجوعك وموت أبناءك. الخرق الأمني هو ما يعنيها فقط ، واذا سأل سائل عن حقوقه تجاه الدولة فسوف يقال له: انها الكورونا .

■ نظر إلى وجهه في المرآة فهاله حجم التغيير والتقدّم في العمر الذي طرأ عليه خلال أشهر العزل البسيطة، ودّ لو يتراجع عن هذا المشوار التافه، بيد أنه كان يبحث عن متنفس وسبب للخروج غير الضروري، أحكم اغلاق القناع على وجهه وسحبه ومده كي يغطي أكبر مساحة من وجهه، أرخى غترته على جبينه، ردّد في نفسه: لا فرق، وحيدًا في الداخل ووحيدًا في الخارج.

رأس المال في زمن كورونا

ما كان مستغرباً أن تكون أقدام رأس المال قد وطئت كل ميدان لاحت فيه منفعة وتسهلت سبل المغنم
يستكمل النظام الرأسمالي، في زمن «كورونا» الجاري، إطباقته على نفسه، وعلى الدنيا من حوله، بعد ما يزيد على أربعمئة عام على فتوحاته، وسلطانه. وتعطلت حركته عن الامتداد والزحف، فتوهنت قوته؛ وضاقت عليه سبل الربح، وانسدت عليه آفاقه، فلم يعد من ملاذ له غير الانكفاء إلى بنوك يرقد في حساباتها.

عبد الإله بلقزيز

ولم يحصل أن تعرض كيانه للصدع حتى في أشد نوبات أزماته، كما في أزمتي عام 1929 وعام 2008، ولا وجد نفسه – يوماً – أمام حال من الفراغ كالتي هو فيها الآن، وقد يقضي زمناً طويلاً قبل أن يتعافى من الفيروس الذي دبّ في جسمه. وحتى حينما تصير حاله إلى التعافي، لن يسعه أن يستمر على ما كان فيه من جنون أكل الأخضر واليابس في الأرض؛ إذ لا بد له من تصحيح ما اعوج في كونه، ومساره، حتى يتصالح مع المحيط الإنساني الذي آذاه كثيراً، وتأذى هو مما لحق الإنسان من أذى كان (هو) من أسبابه.

مبنى هذا النظام على الربح؛ هو عقيدته التي بها يدين، وما همّه أي نوع من الربح يكونه ذلك الربح: أهو سليم أو مشبوه؛ نظيف أو وسخ، يرفع من كرامة الإنسان أو يزري بها؛ يحترم الحق في الحياة أو يوفر أسباب انتهاكه؛ يخدم المصلحة العامة للبشرية أو يعود بأجزل الفوائد على مصالح خاصة وفئوية؛ يطابق منظومة القيم السائدة أو يجافيها،..إلخ؟

ما كان مستغرباً أن تكون أقدام رأس المال قد وطئت كل ميدان لاحت فيه منفعة وتسهلت سبل المغنم. وأكثر ميادينه الموطوءة ما تعلق باقتصاد الاستهلاك، فكان أن أفرغ الوُسْع لإجابة «حاجات» المستهلكين؛ وهم بعدد خلق الله جميعاً إلا من منعه مانع الفاقة. والحق أنه ما أجاب تلك «الحاجات» بقدر ما خلقها، وأخرجها، من عدم، ثم توسع في تنويعها حتى بدت للناس كأنها من الحاجات والضروريات. وهو في إشباعه الطلب على الاستهلاك، حوّل الطبيعي إلى صناعي، وأدخل فيه ما ليس منه كي يمدد من «صلاحيته»، فكانت خصائص الطبيعة في المنتوج تتناقص بمفعول الكيميائي الذي يتخللها لتتناقص معها، فوائده.

أما ما كان من منتوج غير طبيعي فأخرجه إلى الناس بالسعر الذي يُشبع نهم الربح، غير آبهَ بما يلحق الناس من ضرر، مطْمئناً إلى إقدامهم عليه لإشباع نهم الاستهلاك في ميدان الاستثمار في القوت، والمتاع، والمسكن، والملبس، والمقتنى، من وسائل التأنق والتجمل، وسرقة أموال الناس نظير سرقة فائض القيمة المستخرج من قوة العمل. المشكلة في أنه لا يتحرج – في سبيل تعظيم الأرباح – في أن يطأ ميادين لا يكون من ناتج الاستثمار فيها سوى هلاك الأرواح، والتعجيل بالفناء. ومن ذلك ما يضخّه في مجال التصنيع العسكري، وما يتولد منه من إنتاج وسائل الفتك بالحياة، ودمار العمران البشري، بل والتفنن في تصنيع أفْعل فتكاً كأسلحة الذرّة والأسلحة الكيماوية والبيولوجية، حتى أن الحروب أصبحت مطلباً عزيزاً لديه، ووقوداً لاستغلال آلة إنتاجه. والمُسْتشنع في سيرته أكثر استرخاص الأعراض، والحط من قدر كرامة الإنسان، ويدخل في ذلك عمله المحموم في ميدان إشاعة ثقافة غرائزية باتت الصناعة السينمائية، اليوم، واحدة من أجزل موارد استثماره فيها. ولك أن تقيس أمثلة لاشتغال رأس المال خارج أي منظومة قيمية سوى تلك التي يسوغها النهم إلى الربح، وتعظيم المصالح الخاصة.

ضُرب رأس المال هذا في مقتل، اليوم، أرْكَعته عاصفة كورونا الهوجاء، وفرضت عليه الحجر المالي بعدما انْحَدَّ جموحه إلى الربح. سيكون على رأس المال هذا، الذي استثمر في كل شيء إلا في الحياة والصحة، أن يسائل نفسه عما فعل؛ عن مسؤوليته في البحث عن الربح السريع وتَبعات ذلك الباهظة؛ عن مسؤوليته في تدمير البيئة واستصعاب الحياة على ظهر هذا الكوكب؛ عن ذهوله عن الاشتغال في الميادين التي تعود بعظيم الفوائد على الأبدان والنفوس؛ عن استغلاله الوحشي للإنسان وموارد الطبيعة؛ عن عجزه عن أن يوفر للبشرية نظام أمان وحماية من الأوبئة..إلخ. حتى الآن، لا يبدو أن رأس المال كائن عاقل يتعظ من التجربة؛ ما زالت ألسنته، وألسنة لوبياته تسبّح بحمد الربح وفرصه التي «قد» تلوح من خلف هذه الجائحة.

الخروج لشراء جريدة

كان الجو محقونًا ومتوتراً في البيت، فاقترحت الأم على ابنها الأرمل أن يخرج لشراء جريدة.في قرارة نفسه كان الأمر سخيفا، إذ لم يكن من أولئك الأشخاص المدمنين على قراءة الجرائد، لكنّها لمّحت إلى أن والده يفعل ذلك. فخرج قاصدا المكتبة القريبة دون أدنى رغبة لشراء الجريدة، لكنّه فعل ذلك لإرضاء والدته.

في المكتبة سيلتقي سيدة تبحث عن كتاب، فيعرض مساعدته، ويقترح عليها عدة كتب، ثم حين تكتشف أنه ليس موظفا في المكتبة، "لخبطة» ثم اعتذار، ثم دعوة لشرب قهوة، كثير من الضحك في خلال جلسة قصيرة، يبدأ مطر خفيف بالهطول، تذهب السيدة، ويعود هو إلى البيت متوترا نوعا ما، أسرع مما يجب، يلحقه شرطي المرور ويسجل عليه ضبطا، وهكذا تنتهي رحلته الصباحية لشراء جريدة، يدخل مبللا قليلا، مرتبكا، وسعيداً.

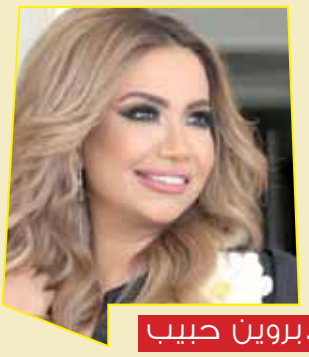

د.بروين حبيب

كل هذه الأمور حدثت حين خرج لشراء جريدة..وفي الحقيقة كانت تحدث لنا على أيام الجرائد أمور مختلفة يوميا ونحن متوجهون لشرائها، قبل أن يقرر أصحابها اختراع الإشتراكات التي جعلتنا ندفع مسبقا ثمنها لتصلنا يوميا إلى بيوتنا. وقد يحدث أن نفتح الباب لإحضارها فنصادف الجار لنلقي عليه التحية، ونتبادل بعض الأخبار الشخصية، وقد تكون الجريدة سببا لدعوته على فنجان قهوة صباحي، تزيده حكاياتنا تميزا.

تطورت الأمور حين انتكس عالم الورق، وأصبحت الجرائد الإلكترونية فارضة سلطتها علينا، فتم الإستغناء عن فتح الباب صباحا، و دعوة الجار لاحتساء قهوة الصباح..

وجدت مواقع التواصل الإجتماعي نقاط ضعفنا بسهولة، فهي بشكل ما تروي الجانب الفضولي فينا، وتلبي رغبتنا لممارسة النميمة بكل أشكالها، فلم يعد لدينا الكثير من الوقت لدخول مواقع الجرائد، أصبح لدينا أشخاص نتبعهم، وآخرون يتبعوننا، ومؤثرون وثرثارون ومحبو الظهور وغيرهم.

يكفي الإستيقاظ والبقاء في دفء الفراش وفتح شاشات هواتفنا، للتجول بين صفحات أولئك القوم السالف ذكرهم، وقد نصاب بالنعاس مجددا من شدة التجوال والتركيز على الشاشة الساحرة التي لا تكف عن إبهارنا بقصص غريبة وأخرى عجيبة عن عالم مجنون كنا نجهله تماما على أيام الجرائد. تصاب أعيننا بالزغللة أحيانا من كثرة التركيز على سيل الحكايات الذي يغمرنا دون توقف، ننام ونستيقظ وجوعنا لما تحمله هذه المواقع بين ما هو صحيح وما هو خاطئ يتحوّل إلى إدمان. يفتي هؤلاء القوم في كل شيء، في السياسة والطب وعلوم الفقه، وفنون الطبخ والخياطة والبصل والبطاطا ومواد التنظيف، والأعشاب التي تشفي من السيدا والكورونا والسكري والسرطان ..

عالم بأكمله من الشعوذات تحمله هواتفنا، وقد نجحت في إعاقة حركتنا، قبل أن يحل فيروس كورونا ويحوّل يومياتنا إلى يوميات شبيهة بيوميات السجناء، ما نفع حياتنا كلها ونحن نراقبها عن بعد من خلال نوافذ صغيرة مكبلون في بيوتنا المغلقة؟

الآن فقط، وفي لحظة فارقة جدا، ستبدو الحياة كما كانت قبل عشر سنوات أجمل بكثير، وكلما عدنا بالذاكرة إلى الوراء ستبدو أكثر جمالا أضعاف المرات. قبل أكثر من ثلاثة عقود كانت الجرائد لا تزال تشجع مسابقات حقيقية في شهر رمضان، تعتمد على الذكاء والثقافة العامة، وكانت الجوائز المحفزّة لخوضها والمشاركة فيها، تكافئ المجتهدين، علينا أن ننتبه إلى جوائز اليوم التي تشبه لعبة «الروليت» مجرد رهان على الحظ، بعد إرسال رسالة هاتفية على أرقام معينة.

في زمن الكورونا استعاد الورق عافيته، أو هذا ما أراه على الأقل، حدث شيء جعل القراء يبحثون عن الكتاب الورقي، زاد الإقبال تحديدا على الرواية، وهذا من الأخبار السارة التي حملتها لنا الكورونا في طياتها، ولا أنكر أن ملمس الكتب الورقية هو الذي أيقظ في داخلي حنينا جارفا للجرائد الورقية، حتى أني اندهشت من أن نسبة تفوق التسعين بالمئة من السويسريين لا يزالون أوفياء لجرائدهم الورقية، ولا تزال جرائدهم مستمرة بالصدور بسبب وفائهم الخارق لها، حتى في هذا الوقت العصيب، تسابقت الدراسات لمعرفة مدى إمكانية نقلها للفيروس فثبت علميا «أن الفيروس يتحلل بسرعة على الأسطح الخاملة، وأكثر من ذلك على الأسطح المسامية، مثل الورق المقوى والورق العادي الرفيع» . هل هذه خدعة تجارية؟

بالتأكيد ليست كذلك، فقد نشرت دراسة مؤخرا في مجلة "نيو إنجلند أوف ميدسن" حملت الكثير من النتائج المفرحة، منها أن الفيروس التاجي يعيش مدة أطول على المساحات الملساء غير المسامية، كما يفقد قوته ويصاب بالضعف كل 66 دقيقة، خاصة في الهواء الطلق، وبعد أربع وعشرين ساعة يقضيها على ورق الكارتون يفقد قوته تماما، وكذلك على ورق الجرائد التي من الصعب أن تحمل الفيروس بما أن طباعتها لا تتم يدويا أبدا. ومع هذا هناك جرائد كثيرة على مستوى العالم توقفت عن طباعة جرائدها ورقيا. يا للمحنة!

ما الذي فاتنا حين توقفنا عن الخروج لاقتناء جريدة؟

فاتنا بالتأكيد ملامسة شمس الصبيحة ونسائمها، المشي في الشارع، لقاء أشخاص جدد، وأقدار مختلفة، كان بالإمكان أن تغيّر حياتنا، وإيقاعها الميت الذي نعيشه اليوم. كل حياة حركة، وكل موت ثبات، ونحن اليوم نزداد ثباتا وخوفي أن يطال الثبات أعيننا فنصاب بعمى جماعي بعد عقد أو عقدين من الزمن فنعيش بالضبط ما وصفه ساراماغو في روايته.

فمن كان يتوقع أن نبلغ في ظرف عشر سنوات كل هذه التغيرات المخيفة؟ فقد طال الخوف أعمق نقطة في أعماقنا حين جعلنا نخاف من وعلى أحبتنا، وأصبح من الممكن أن نستغني عن حاسة من أهم حواسنا وهي اللمس لنحافظ على بقائنا. لكن من يعرف سحر ملمس الورق ورائحته؟

أفهم جيدا هذه الحملات المنظمة من طرف عشاق جرائدهم الورقية للتشجيع خلال فترة الحجر على الإشتراك في جرائد معينة، اشتهرت بمستواها الثقافي الجيد، وأقلامها الراقية.

لا تزال الجرائد أرخص ما يمكن أن يشتريه الشخص، وأكثر حرصا على أذواقنا، دون اللجوء لإعلانات مفاجئة، في الغالب تزعجنا كقراء للنسخ الإلكترونية، وتشوش تركيزنا، وتخدش في الغالب متعة استمتاعنا بالقراءة.

هل يمكن لزمن الجرائد أن يعود؟ كثيرا ما طرح السؤال وأجاب عنه مثقفون وكتاب ومختصون، لكن من يستطيع التنبؤ بما هو قادم؟ ففي النهاية نحن نجهل تماما أي الأحلام ستنتابنا بعد انتهاء الجائحة، وأيها سنجتهد في تحقيقها، ولا نعرف حتما، هل هذا الفضاء الإلكتروني الذي نعيش في كنفه سيبقى صالحا وآمنا في المستقبل؟

كل الأسئلة التي تخطر على البال، تبقى بعض أجوبتها عالقة، ذلك أننا لا نعرف طريقة تفكير الأجيال القادمة، ولا توجهاتهم في الحياة، ألم تتربع الممثلة جودي دينيش على غلاف مجلة فوغ الورقية مؤخرا وهي في الخامسة والثمانين؟ أليس هذا مخالفا لقواعد جذب القارئ بصور الصبايا الحسان رشيقات القوام؟ إذن كل شيء وارد. أليس التوجه اليوم في اختيارات الأجيال الشابة مغايرا تماما لأجيال سبقته؟ ألا يهتم بما يأكل وما يشرب، وبممارسة الرياضة، واختيار النهج الصحي في الحياة؟ عكس شبان الماضي وخوضهم تجارب ومغامرات مجنونة تبدأ بالتدخين وتنتهي بأمور لا تُحمَد عقباها يضيق المقام لذكرها؟

لن نستبعد أبدا خوض مغامرة نشر جديدة لجرائد أو نشرات ورقية تهتم بالثقافة والفنون والآداب، وتملأ بعض تجويفات الحنين للأشياء الجميلة التي نفتقدها اليوم، ومن بينها الخروج صباحا لاقتناء جريدة، فأغلب أقدارنا الجميلة ككتاب وشعراء صنعتها الجرائد الورقية ذات يوم، وكلما كان مكان اقتنائها بعيداً، كانت أحلامنا الصباحية تأخذ، حجماً أكبر.

قراءة في كتاب (خارج الطائفة)

جلال إبراهيم

تعدّ المشكلة الطائفية خلال العقود الأربعة الماضية، أحد أكثر المشكلات تفجرًا في المشرق العربي. بل إن تفجرها قد جاء مع تمدد الحركات السلفية المتشددة واشتداد عود حركة الأخوان إبان حقبة أنور السادات ومع انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية والعمل على تصدير ثورتها في الأقاليم العربية المجاورة. وقد ازدادت حدة المشكلة الطائفية مع سقوط نظام البعث في العراق وصعود الأحزاب الإسلامية الشيعية وسيطرتها على مقاليد السلطة في العراق.

من هنا تأتي دراسة الكاتب والناقد البحريني علي الديري كقراءة مميزة وهامة في مناقشة المرتكزات التي تقوم عليها النزعات العصبوية. يقدم الكتاب عبر تجربة المؤلف مع ثنائية الخارج والداخل، أن الوجود خارج الطائفة يجعلك تلقائيا داخل فضاء المدينة وداخل فعلها الحر. فكل خروج هو دخول آخر. أنت تخرج من حيز، أفقه ضيق لتدخل أفقا أكثر رحابة وأكثر اتساعا. فمن خارج الطائفة (الفصل الأول)، إلى داخل المدينة (الفصل الثاني)، ومنها إلى داخل آخر وأكثر تشعبا، الدولة (الفصل الثالث)، ثم داخل إنسان هذا المكان الذي يشكل المجتمع (الفصل الرابع).

في الفصل الأول (خارجٍ الطائفة) يشير الديري إلى أن المثقف لا يمكن أن يكون مثقفا حقيقيًا وهو داخل الطائفة، ولا يمكن المراهنة على مثقف وهو داخل طائفته. لأن "وظيفة المثقف أن يوسع إطار الجماعات، ليكون بمقياس الوطن لا بمقياس الطوائف."1 والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، ما معنى أن أكون خارج طائفتي؟ "يعني أن تكون طائفتي موضوعا أشتغل عليه، لا إطارا أستند عليه."2

قد يتبادر إلى ذهن القارئ أن الديري يقصد بصيغة "أنا خارج الطائفة" إعلان براءة أو حرب، غير أن المسألة في عمقها إشكالية معرفية، ووجودية، واجتماعية، وسياسية، بمعنى آخر "أحاول أن أفهم من خلال هذه الإشكالية (أنا خارج الطائفة) أناي ومجتمعي ودولتي، وجماعتي التي أعيش فيها."3 أن أكون خارج طائفتي بهذا المعنى، أجعل الدولة خارج الطوائف.

يذكر الديري أنه بعد زيارة المفكر محمد أركون للبحرين في 2001 كانت التهمة الأكثر حضورا في الحراك الثقافي العام هي (أنت خرجت من تقليد رجل الدين ووقعت في تقليد أركون). يقلب الديري التهمة إلى سؤال: ما الفرق بين علاقتك برجل الدين وعلاقتك بأركون؟ أو ما الفرق بين تقليد رجل الدين وصداقة المفكر؟ هل يمكن أن يكون رجل الدين صديقا؟ يجيب الديري " أن العلاقة مع رجل الدين محكومة بقانون الماهية، والعلاقة مع المفكر محكومة بقانون التصيير. قانون الماهية يفرض عليك أن تكون هو (...) قانون التصيير يطلب منك أن تكون أنت وما تفعله."4 نحن مع رجال الدين نتماهى، ومع المفكرين نتصاير .

في الفصل الثاني (المدينة والفعل الحر) يؤكد الديري على أهمية مقاومة الطائفية، ولكي ننجح في ذلك علينا أن ننشئ مدينة، لأن المدينة تقوم على الفعل الحر، وحرية الفعل تحتاج حماية. "كي تكون مدينتنا وطنا للفعل الحر، فإننا نحتاج إلى أن نجعلها بثلاثة ألوان لون للتشريع ولون للتنفيذ ولون للقضاء. أن تكون المدينة بثلاثة ألوان فهذا يحميها من لون الفرد الواحد وإرادته، ومصلحته ورؤيته (...) حين يبهت أحد الألوان الثلاثة أو حين يمحي لون أحدها لا تعود المدينة مكانا آمنا للوطن."5

كذلك في هذا الفصل يؤكد الديري على أهمية تحرير المثقف من السياسي. لأن السياسي ينسجم مع السائد والأكثرية والنافع واليومي والمستقر، إنه ينسجم مع ما يمكنه من أن يعزز من حكم سلطته. يقابل أحادية السياسي المتمثله في دفاعه عن الواحد، وانحيازه لجماعته، تعددية المثقف المتمثله في دفاعه عن التعدد، وانحيازه للشخص وتكثيره للمعنى، وانفتاحه على كل الجهات. وفي جانب آخر يشدد الديري على أهمية تحرير المثقف من رجل الدين. لأن المثقف أو المستنير لا يتصف بالتقيّد أو بالتوقف، وهو ما يجعل منه متمايزا عن رجل الدين، في علاقتهما بالفعل الحر وصناعة المدينة. "المدينة صنيعة المثقف لا رجل الدين، رجل الدين لا يصنع مدينة ، المدينة يصنعها الفعل الحر، لا النص المقيد. النص يصنع جماعات والفعل الحر يصنع أفرادا، النص يسبق الإنسان والفعل يلحق الإنسان."6

لكن ما هو الفعل الحر؟ الفعل الحر هو "ما ينجزه الإنسان بتصرفه في العالم، من نصوص وخطابات ورسومات وأشكال إدارة وحكم وعلاقات وصور وألوان وأنظمة وقوانين، الفعل الحر هو تصرف الإنسان في وجوده من دون الخضوع إلى سابق (...) الفعل الحر أن نصنع حقائق كثيرة للوجود."7 ولا يسعنا في هذه المقالة تسليط الضوء عن "تحرير الاختلاف" و "تحرير خرائط المدينة" و "تحرير الخيال" و "تحريرالحقيقة" و"تحرير الرابطة المدنية" التي أسهب الديري في طرحها وشرحها في الفصل الثاني من كتابه آنف الذكر.

في الفصل الثالث (داخل الدولة) يغوص بنا الديري في أعماق بحر الدولة الواسع وأمواجه العاتية ليفك طلاسم التناقضات والصراعات داخل الدولة الواحدة. اعتاد العرب في تاريخهم الحديث والمعاصر على جعل السلطة هي الدولة، والدولة هي السلطة. لذلك نرى الحاكم أو العائلة أو القبيلة أو الحزب هي السلطة والدولة في ذات الوقت. «هناك فرق بين منطق الدولة ومنطق السلطة. بل قد يتعارض منطق السلطة ومنطق الدولة، فالسلطة تبقى في النهاية مجسدة في أشخاص أو عوائل أو عصبيات أو أحزاب أو جماعات. وهذه التجسيدات لها منطق مصلحة خاص بها، وكثيرا ما يتعارض مع فكرة الدولة، أو منطق مصلحتها.»8

يفرق الديري بين «طاعة العامة» وبين «الطاعة العامة». في «الطاعة العامة» الجميع نبلاء، وبقدر ما يطيعون تكون الدولة، والناس لا يطيعون الناس، بل يطيعون ما يتوافق ويتعاقد عليه الناس. إنهم يحترمون هذا العقد العام. وفي «طاعة العامة» يحكم شخص أو عائلة وينظر إلى الجميع على أنهم رعاع وعامة وبسطاء وسواد أعظم. في «طاعة العامة» لا يوجد ميدان اجتماعي أو سياسي عام، بل هناك ميدان للطاعة تتنافس فيه الجماعات لإظهار شعائر الولاء لشخص غير عام. وفي «الطاعة العامة» هناك ميدان اجتماعي وسياسي عام، يتحاور الناس فيه ويختلفون ويتعددون ويتباينون، ويحتكمون في كل ذلك إلى مؤسسات عامهم، من دون أن يلجأوا إلى شخص مفترض الطاعة. في «الطاعة العامة» مجال حركة الناس هو الشارع العام، أما في «طاعة العامة» فمجال حركة الناس هو في الشارع الخاص حيث الطائفة والعائلة والقبيلة.

في الفصل الرابع والأخير (داخل المجتمع) يبرز علي الديري التباين الواسع بين (روحانية المخطط الكبير) وبين (المخطط الصغير للملة أو الجماعة). في الأولى تكون روحانية الإنسان عابرة للزمان والمكان، متقبلة للمختلف ومتسامحة مع الآخر. أما عن روحانية المخطط الصغير فهي منغلقة على نفسها ورافضة للمختلف ومتعصبة مع الآخر. "الحديث عن الروح من غير روحانية تماما كالحديث عن الإنسان من غير إنسانية. تتحقق روحانية الروح بوصلها بالآخرين، بتناغمها وسلامها مع الأرض. بهمسها الباطني بالمحبة، بترطيب علاقتها بالمختلف معها عقائديا وحضاريا، بتوافقها مع المخطط الكبير للكون، لا المخطط الصغير للملة أو النحلة، بالارتباط بالله الواحد في السماء والمتعدد في الأرض والخلق."9

سيفتحك خارج الطائفة إذا، على الخيال والعقل والدين والعلم والسياسة والعالم والإنسان والتراث والآخر. سيجعلك مهيئا لدخول العالم.

الهوامش:

1- علي الديري، خارج الطائفة ص29الطبعة الأولى 2011 دار مدارك
2-المصدر السابق ص29
3-المصدر السابق ص32
4-المصدر السابق ص53
5-المصدر السابق ص137
6-المصدر السابق ص152
7-المصدر السابق ص154
8-المصدر السابق ص214
9- المصدر السابق ص328

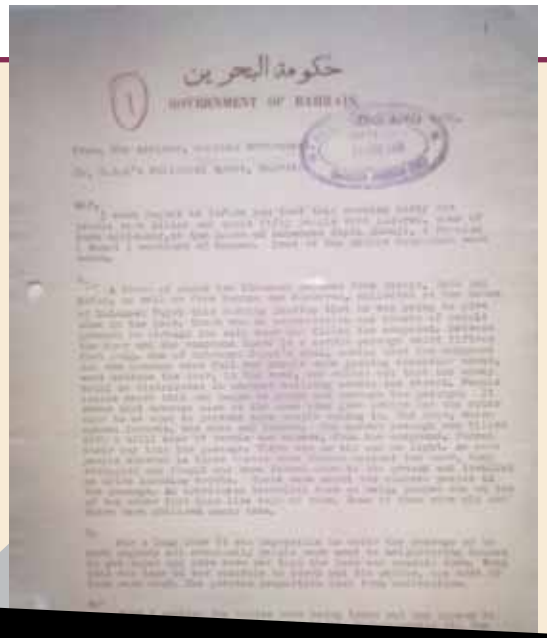

1935

يوم الأحد، في ليلة العاشر من محرم ١٩٣٥، في بيت من بيوت مدينة المنامة، حدث أمر جلل؛ وقع حادث غير واضح الأسباب، أدى إلى مقتل العشرات في ليلة قاتمة، أحداثها جرت بشكل متسارع، لتظل واحدة من الحوادث التاريخية التي يقال فيها الكثير. تعددت الرؤى في وقتها حول سبب الحادث، بالتكهنات، والتوقعات، وإبداء الآراء، وقليل من التنظيرات الداخلة في تفاصيل تلك الليلة، ولازال الحديث عنها حياً، برغم مضي خمسة وثمانين عاماً على وقوعها، ولا زالت نفس الآراء المتعددة غير الخالية من الآيدولوجيا، والتعصب، والكسوة المذهبية، والتعنت في الرأي، كلما فكر أحد في الحديث عما دار في بيت التاجر محمد طيب خنجي في تلك الليلة، التي تقول روايات مكتوبة في أكثر من مصدر: إنه "يوم توزيع الزكاة"، الذي قدم فيه الناس من مناطق محددة بالبحرين –ولها دلالتها– مثل البديع، والحد، والرفاع، وبعض من مدينة المحرق والمنامة أيضاً(1).

زهراء المنصور

وتناقل خبر توزيع الزكاة قبلها بأيام، حيث وفد الجميع في الوقت المعلوم، لكن ما حصل أن الزحام الشديد داخل منزل التاجر أدى إلى الاختناق الذي أوصد الباب الرئيسي على مائتي شخص – تقريباً، مات منهم على الفور ستة وستون شخصاً، كان أغلبهم من النساء والأطفال. "الحادثة مات فيها خلق كثير من النساء"، من مختلف مناطق البحرين.

كان التوقيت في تلك البقعة من أرض هذه الجزيرة الوادعة، صخب يعلو في التوقيت نفسه، لأنه العاشر من محرم المقدس عند المسلمين من الطائفة الشيعية، ولأنه اليوم الموعود لاستلام الصدقات عند فقراء المسلمين من الطائفة السنية، وهو أيضاً أحد "الشعانين" عند الديانة المسيحية، والمقصود به الأحد الذي يسبق عيد الفصح(2). كان الأمر أشبه بعرض درامي على خشبة مسرح واحدة؛ يبدأ الفصل التمهيدي بعرض الأحداث، ومقدماتها، ونماذج للشخوص القادمة، ثم يبدأ الفعل، حتى تحدث الذروة التي تعقبها انفراجة حسب القواعد الأرسطية الكلاسيكية. لكن الأحداث لم تكن عادية، ولا تحصل في كل وقت.

وعلى مدى سنوات طويلة، تناولت المطبوعات والمواقع الإلكترونية الحادثة بتفاصيل مختلفة قليلاً، ولكنها بنفس ذات المضمون الذي يشرح الحادثة، مثل ما ورد في كتاب "أخبار البحرين في القرن العشرين"، والمعنونة بـ "وفاة 83 شخصاً في حادث بالمنامة": في حوالي 9 محرم 1354 الموافق 15 أبريل 1935م، توفي في المنامة 83 شخصاً، معظمهم من النساء والأطفال، وذلك بعد تجمع حوالي 2000 – غالباً كتب هذا الرقم عن طريق الخطأ، ومن المفترض أن يكون العدد 200– شخص خارج منزل أحد التجار، بعد سماعهم أن ذلك التاجر سوف يقوم بتوزيع مساعدات على الفقراء والمحتاجين، وسبب تدافعهم داخل ممر ضيق يؤدي إلى ذلك البيت، ولضيق التنفس، حاول بعضهم الخروج بأقصى سرعة، فسرت حالة من الهلع والرعب،

فتدافعوا، وسقط الكثيرون منهم على الأرض، حيث سحقوا، وراح منهم 83 قتيلاً.

وقد أصدر حاكم البحرين الشيخ حمد بن عيسى بن علي أمراً بفتح باب التبرعات المالية والعينية لصالح أقارب الضحايا.(3) وأحدث من كتب في هذه الحادثة، كانت الباحثة البحرينية فوزية مطر، التي كتبت بذات التفاصيل السابقة: "في أبريل سنة 1935م، تناقل الناس خبراً مفاده أن التاجر المحسن محمد طيب خنجي قرر توزيع زكاة الفقراء والمحتاجين، احتفاء بـزواج ولـده. في 14 أبريل، توجه المحتاجون إلى بيت محمد طيب بالمنامة، وكان الكثير منهم نساء، قدم بعضهن برفقة أطفالهن، غصّت باحة البيت ودهاليزه بزحام شديد من طالبي الزكاة، ما أضطر أصحاب البيت لاتخاذ قرار إغلاق بوابته أمام الحشد المتجمع خارج البيت ودهليزه، بين من تسلم زكاته وينوي الخروج، ومن يندفع للداخل لتسلم الزكاة، في أجـواء الزحام الشديد والتدافع بين الخارجين والداخلين، سقط البعض على الأرض، وداسته الأقدام، وهلك البعض الآخر اختناقاً، راح ضحية الحادثة 66 شخصاً، غالبهم من النساء، في نص رسالة بعث بها حاكم البحرين الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة للمعتمد السياسي البريطاني في البحرين، يشكره فيها على تعزيته بوفيات حادثة بيت محمد طيب خنجي".(4)

ومما تقدّم، يتضح لنا في أكثر من مصدر أن المصادر المكتوبة – في كتب مطبوعة– تتجه إلى نفس الرواية التي قد تزيد تفاصيلها هنا أو هناك. من الناحية الأخرى، وحيث إن للحقيقة وجهات نظر عديدة، بحيث أنه لو قدر لنا استحضار شهود منذ ذاك الزمان، لتعددت رواياتهم، رغم وجودهم في نفس المكان. وهذا ليس نابعاً من عدم صدقهم، إلا أن لكل منهم زاوية رؤية يعبر عنها وفق قناعاته ومعتقداته، كما قد يحصل في الوقت الحالي؛ المزود بأعلى التقنيات الإلكترونية التي تمكن من تسجيل الحدث وروايته أيضاً بشكل مختلف عن الآخرين. فكيف بالوضع قبل أكثر من ثمانين عاماً من الآن؟ ما يحصل أن الحدث ينقل بصورة مغايرة عن ما سبق في المواقع الإلكترونية، لأسباب عديدة؛ أهمها عدم تمرير الرقابة – أي رقابة– لهذه الحادثة بالصورة التي تناولتها بعض المواقع، التي توصف بـ"المدونة"، أي الأقرب إلى شكل البحث، أو التقرير، المستند غالباً على مرجعيات، وأيضاً النقل الشفهي الذي يطعم بخلفيات الناقل، وأغراضه، وحكمه العاطفي.

إن قراءة هذه الواقعة، ورمزياتها، وما آل إليه الوضع، يخضع لأكثر من مستوى؛ أولها موضوع "التعايش" المرتبط بالمجتمعات المختلطة، الذي يثار دائماً، وربما أثير مؤخراً على مستوى علاقات أرفع، والأولى هنا أن الأقربين أولى بهذا المعروف! وهذا لا ينفي بالطبع وجـوده في مجتمع متعدد، خليط من الديانات، والأعـراق، والأصول، لكنه لا يثبت بالضرورة علاقات "عميقة" أو مثالية، هي أقرب بالوصف للعلاقات الطبيعية التي تتأتى من الاعتياد وحسن الجوار، عدا أنه غير مطلوب إثبات هذه الصورة الجميلة، أو تصديرها، طوال الوقت، لأنها ستتصدر لوحدها لو كانت حقيقية.

من بـاب آخـر، فتحت هـذه الحـادثـة التأويل العاطفي المصاحب لأي حدث مشابه، من الطبيعي التفكير في الحدود الضيقة التي تصور الآخر نداً وعدواً متربصاً، في جنوح الخيال المتعصب، وتحويل الحادثة إلى أسطورة، ترقد حتى الآن في أذهـان الكثيرين، وهو التأثير الطبيعي للميثولوجيا على الشعوب، حتى لو كان معارضاً للعقل، والحسابات المنطقية الأخرى التي تفند أي تدخل للقوى الخارقة والمعجزات، والتي يلجأ إليها البعض، ويتبعهم كثيرون دون نقاش – حتى بينهم وبين أنفسهم!– قد يخرج بنتيجة مغايرة. تسليم العقول هذا أدى إلى الاتكالية والاستشارة، حتى في أكثر الأمور الشخصية بداهة، والمشكلة الحقيقية في التشبث الأعمى بالآيدولوجيات، وهذا التعصب الذي شمل كل من تعطلت لديه حاسة "الشك" إلى حين الاستدلال.

وفي "نموذج" واقعة طيب، لازال السؤال المحير عن ماهية التجمع فيها: توزيع صدقات، أم حفل ازدراء لطائفة أخرى؟ وهل نميل للوثائق الرسمية المكتوبة بنفس تاريخ يوم الحـادث والأيـام التي تلتها؟ أم للتاريخ الشفوي المتناقل، والمثقل بجو المعجزات: انتصار الخير، وتدمير الشر، المتمثل هنا في بسطاء الناس – أياً كان سبب حضورهم للبيت والمناسبة–؟ والملفت للانتباه، أن الأمور لازالت تأول إلى الأسوء شفهياً، رغم كل وسائل البحث العصرية التي تمنح المعلومات ببذخ أكثر من اللازم أحياناً، لكنها تضيف وتفتح آفاقاً جديدة بكل الأحوال.

ليس المطلوب الحسم في مسألة مضى عليها كل هذا الوقت، فهذا الحدث أو غيره، مهما أكدّ الآخرون دلائله، ستظل قوساً مفتوحاً يقفل بقناعة الشخص المطلع على ما كتب عن الواقعة. الفكرة هي الدعوة لإعمال العقل – أو إهماله– حتى تبقى المسلّمات في أمور تستوجب التفكير، جزءاً من إبداء الامتنان والشكر لله الذي خلق العقل ودعانا للتفكّر. الوصول غير مهم، لأن الرحلة هي الغاية، والكنز في المعرفة. وإن كان ثمة شك في هذا القول، فليجرب أي أحد النبر في محرك البحث لفهم هذه الواقعة –أو غيرها من المختلف عليها، وتمسّ ثوابت يعتقد أنه مسلّم بها– ومعرفة تفاصيلها، أو أي وجهة نظر مغايرة للسائد/ العام/ المتفق عليه على مضض، وكتابة منشور مسنود على دلائل مادية تسند طرفاً دون آخـر، ويحمل وجهة نظر علمية، ليواجه طوفان التعصب الأبـدي بالتنمر، والتعرض، والمطالبة بالتسليم، حتى تكون "أحدهم" وحسب.

الهوامش

الوثيقة رقم (1)

(2) بحسب ترجمة مهدي عبدالله المأخوذة من مقال بعنوان: "البحرين–أحد الشعانين" عن مقال في مجلة نجلتيد اريبيا للسيدة ل.ب ديم والدكتور دبليو، العدد 172، سبتمبر 1935م.

أخبار البحرين في القرن العشرين، أحداث البحرين في 100 عام من الانطلاق حتى بزوغ الميثاق، حسين إسماعيل، الطبعة الأولى 2002م، ص 60

المرأة البحرينية في القرن العشرين، مرحلة ما قبل الاستقلال 1900–1970م، د.سبيكة النجار، فوزية مطر، دار مسعى لطباعة والنشر، الطبعة الأولى 2017م، ص 353.

«كورونا» والعنف الأسري

إعداد: دينا الأمير

يُعدّ العنف الأسري واحداً من أكبر انتهاكات حقوق الإنسان حول العالم، قبل تفشّي فيروس كورونا الجديد، حيث أن ثلث النساء حول العالم تعرضن لعنف جسدي أو جنسي من قبل الشريك أو أحد أفراد العائلة، والقليل منهن طلبن المساعدة أو تقدّمن ببلاغ لدى الشرطة ضد المعتدي عليهن، لذا لا توجد إحصائيات دقيقة حول أعداد المعنفات في الكثير من الدول.

بعد الإغلاق والحجر المنزلي والتي فرضته الحكومات كجزء من من التدابير والمخططات لاحتواء ومكافحة تفشي فيروس كورونا، فإن العنف الأسري والعنف الموجه ضد المرأة وصل إلى مرحلة كبيرة من التصعيد، وأصبح الإبلاغ والحصول على المساعدة أكثر تعقيداً، حيث يصعب على مزودي الخدمات الطبية والقانونية والنفسية الوصول إلى النساء المعنفات وتقديم المساعدة اللازمة لهن، كما أن المحاكم والتي يمكن عبرها تحريك دعوى قضائية ضد المعنفين والمعتدين معطلة، إضافة إلى إغلاق وتعطيل بعض مراكز الإيواء لمنع انتشار الوباء بين النزيلات أو امتلائها، الأمر الذي دعا الأمم المتحدة إلى تحرك عاجل لمكافحته.

في وقت سابق من شهر أبريل الماضي، دعا الأمين العام للأمم المتحدة، أنطونيو غوتيريش، إلى اتخاذ تدابير لمعالجة «الطفرة العالمية المروعة في العنف المنزلي» ضد النساء والفتيات، المرتبطة بحالات الإغلاق التي تفرضها الحكومات كنتيجة لجهود الاستجابة لجائحة كوفيد-19، ويشير تقرير الأمم المتحدة إلى تسجيل زيادة كبيرة في الشكاوى من العنف الأسري وطلب الحماية، خلال فترة الإغلاق. ففي فرنسا بلغت نسبة الزيادة في العنف الأسرى منذ بدء إجراءات الإغلاق في 17 مارس، 30 في المئة. أما في الأرجنتين، فقد بلغت الزيادة في شكاوى العنف المنزلي منذ بدء إجراءات الإغلاق في 20 مارس حوالي 25 في المئة. وفي قبرص وسنغافورة ارتفعت شكاوى العنف الأسري بنسبة 30 و33 في المئة على التوالي.

أما في العالم العربي، يتوقّع تقرير صادر عن لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا (الإسكوا) أن المرأة تتحمّل الوزر الأكبر لما تولّده الجائحة من مخاطر صحية وعنف في العالم العربي. ومن لبنان جاءت أولى التصريحات الرسمية التي تعكس حجم مشكلة العنف المنزلي على ضوء تفشي فيروس كورونا. فقد صرحت قوى الأمن الداخلي أن الخط الساخن المخصص لتلقي شكاوى العنف الأسري شهد ارتفاعاً في عدد الاتصالات التي وصلت نسبته مئة في المئة في شهر مارس من العام الحالي، مقارنة بالفترة نفسها من العام الماضي.

كما لفتت الهيئة الوطنية لشؤون المرأة اللبنانية في حملتها التي أُطلقتها بالتعاون مع المُديرية العامة لقوى الأمن الداخلي إلى أنه «في ظل الحجر الصحي المنزلي الذي فرضته الحكومة اللبنانية للحد من انتشار فيروس كورونا يعود موضوع العنف ضد النساء والفتيات إلى الواجهة، إذ أن الوجود الدائم للنساء المعنفات في المنازل مع أفراد الأسرة، يعرضهن أكثر لخطر العنف الأسري». وقد أعلن مؤخراً عن مقتل طفلة سورية في طرابلس لا يتجاوز عمرها خمس سنوات بعد تعرضها للضرب المبرح على يد والدها.

الأمم المتّحدة تدعو لمكافحة العنف المنزلي

في هذا السياق حذّرت مقررة الأمم المتحدة الخاصة المعنية بالعنف ضد المرأة دوبرافكا سيمونوفيتش، من ارتفاع معدلات العنف المنزلي المتفشي بحسب ما أشارت إليه التقارير الأولية للشرطة والخط الساخن، مشيرة إلى أنه «بالنسبة إلى العديد من النساء والأطفال، قد يشكّل المنزل مصدر خوف وسوء معاملة. ويزداد هذا الوضع سوءًا إلى حد كبير في حالات العزل على غرار الحجر التي يفرضه وباء فيروس كورونا المستجدّ. وعلى جميع الدول أن تبذل جهودًا جبّارة للتصدي لخطر الفيروس، ولكن يجب أن تشمل هذه الجهود أيضًا النساء والأطفال ضحايا العنف المنزلي، لأن إهمالهم قد يؤدي إلى زيادة العنف المنزلي، بما في ذلك قتل النساء على يد الشريك الحميم، ويتفاقم الخطر عندما لا يتوفر ما يكفي من الملاجئ ومن خدمات المساعدة للضحايا، وعندما يصعب الوصول إلى الملاجئ والخدمات التي لا تزال متاحة، وعندما يتلاشى الدعم المجتمعي، وتتراجع تدخلات الشرطة وتنخفض القدرة على الوصول إلى العدالة في ظلّ إقفال العديد من المحاكم».

وأشارت خبيرة الأمم المتحدة إلى أن إجراءات الطوارئ اللازمة لمكافحة فيروس كورونا المستجدّ زادت من أعباء العديد من النساء على مستوى العمل المنزلي ورعاية الأطفال والأقارب المسنين وأفراد الأسرة المرضى، وما يزيد الأمر سوءًا هو أن القيود على الحركة والقيود المالية والغموض العام يشجع الجناة ويزودهم بمزيد من السلطة والسيطرة.

ودعت الحكومات إلى عدم تأجيل حماية الضحايا وحثتهم على مواصلة مكافحة العنف المنزلي في زمن كوفيد-19. فتدابير حماية الضحايا يجب أن تبقى متوفرة أو أن يتم اعتمادها خلال الأزمة، ومنها ضمان الوصول إلى الحماية عن طريق إصدار الأوامر بعدم التعرّض للضحايا والحفاظ على ملاجئ آمنة وخطوط ساخنة للمساعدة. وعلى الشرطة أن تبذل المزيد من الجهود على مستوى التدخل السريع. وعلى الدول أيضًا أن تتوصّل إلى حلول جديدة ومبتكرة لدعم النساء، ولا تسمح للظروف الاستثنائية والتدابير التقييدية المفروضة للتصدي لفيروس كورونا المستجدّ أن تؤدي إلى انتهاك حق المرأة في العيش بمنأى عن العنف.

إجراءات لتحسين وضع المرأة:

حثت الأمم المتحدة جميع الحكومات على منع العنف ضد المرأة، وأن تجعل من جبر الضرر الواقع عليها من جراء هذا العنف جزءً رئيسياً من خطط الاستجابة الوطنية الخاصة بكوفيد-19، وحددت العديد من الإجراءات التي يمكن اتخاذها لتحسين الوضع، بما فيها:

- زيادة الاستثمار في الخدمات الإلكترونية ومنظمات المجتمع المدني.
- التأكد من استمرار الأنظمة القضائية في مقاضاة المعتدين.
- إنشاء أنظمة الإنذار طارئة في الصيدليات والمتاجر.
- إعلان ادراج الملاجئ في فئة مرافق الخدمات أساسية.
- إيجاد طرق آمنة للنساء لالتماس الدعم، دون تنبيه المعتدين عليهن.
- تجنب إطلاق سراح السجناء المدانين بالعنف ضد المرأة، بأي شكل من الأشكال.
- تكثيف حملات التوعية العامة، وخاصة تلك التي تستهدف الرجال والفتيان.

التلصص في الحل والترحال

فوزية مطر

في كتابه "يوميات التلصص" أبحر د. حسن مدن في بحار من المعايشات لا تحدها شواطئ، ولامس أشياءً في الحياة تمرق من أمامنا دون أن نعيرها انتباهاً، فكشف زواياها المهملة لتغدو أبسط الأشياء أهمها، وغاص في أعماق وجوه جرفته بما يلفت، وحلق في الأجواء وعبر الفيافي ليحط رحاله في بقاع الدنيا مستكشفاً الأماكن بتفاصيلها وأحداثها وشخصياتها.

التلصص لدى د. حسن مدن لا ينطوي على المعنى القاموسي للكلمة بمعنى التجسس أو تكلُف اللصوصية، بل يذهب كما طرح الكاتب في مقدمته إلى معاني المتابعة النابهة أو المراقبة المركزة المضاهية للفراسة. يقول نصاً: "ثمة بشر يمتلكون هذه الحاسة النافذة في التقدير ودقة الملاحظة." ولعمرنا فكاتبنا أحدُ هؤلاء البشر بجدارة.

لم يكتب د. حسن مدن يوميات ولا سيرة ذاتية لكنه كتب الحياة معملاً فيها دقة ملاحظته وحاسته النافذة في متابعتها وتقليبها على الجنبين وانثيال التأمل في تفاصيلها لتنبثق خاطرةٌ فغوص في العمق يستدعي ما يحوزه كاتبنا من مخزون ثقافي متراكم يغرف منه ما يواتيه في المواءمة بين ما يُعمل فيه تأمله وبين آراء أو أقوال أو ابداعات لآخرين. وهو في ذلك يحلل ويفلسف ليس بغموض وفذلكة الفلاسفة بل ببساطة الحياة نفسها. يفلسف أبسط الأشياء والظواهر مضفياً عليها قيمة حياتية لافتة يكتشفها القارئ فيقول لسان حاله: كيف لم ألتفت لهذا الجانب. ينتهي د. مدن إلى بلورة رؤيته الخاصة ويصدر أحكامه الذاتية ويمررها لقارئه، وذلك نهجٌ يميز بتقديرنا غالب المقالات الصحافية التي يكتبها د. حسن مدن وبعض اصداراته أياً كانت القضية التي يتناولها.

يبدأ تطواف المؤلف بمعايشاته الذاتية البعيدة والقريبة، كملابسات خروجه للتقاعد وما يلمسه القارئ من وخزها المؤلم، وطقوس حياته اليومية البيتية، وتجربته في التخلص من المتراكم والفائض. كما يعود بذاكرته إلى بعض المعايشات التي حفرت أثرها مثيرة شجنه كذكريات تكليف والده له بكتابة الرسائل. ويتوقف عند تجربة تقنية الكتاب المسموع والأغاني العذبة التي تظل في وجدان الانسان رغم ما يمر عليها من زمن، وصولاً لتأملاته في سيرورة الزمن وفي السهد وقسوة مجافاة النوم للإنسان.

يحتفي الكاتب ببعض أشياء الزمن الماضي حتى تلك التي أفلت شمسها حين أزاحتها التقنيات الحديثة كدفاتر المفكرات الصغيرة والمذياع والهاتف النقال البسيط والسينما ويرى لكل منها مذاقه وفائدته، فالمذياع لا يبث سوى المادة القيمة الرصينة فيغذي الروح والفن الرفيع فيمد المستمع بالهدوء والسكينة. يهجو السيارة وهوس الكرة ويعرّج على العيد وأغانيه والورد وإهداءاته.

ينوّه الكاتب باللافت والمميز من وجوه عرفها محتفياً بصداقاته، وهو في ذلك لا ينتقي الشخصيات اللامعة أو الشهيرة بل تلك الوجوه المغمورة التي طحنتها نوائب الدهر ومحن الحياة، كفاطمة الخجولة الحنون التي لم تنل فرصة التعليم لكنها تقدم دوراً مميزاً في الحياة، وجمال الذي خطفه الموت سريعاً، وعائدة الصديقة التي انقطع الكاتب عن التواصل معها ليتفاجأ بفجيعة موتها، والشاعرة الفلسطينية التي سحقتها المشاق بحثاً عن حق إقامة على أرض ما. من هؤلاء إلى معاناة وآلام وجوه في لقاءات الدقائق المعدودات على حدود الكوريتين بين أفراد العائلة الواحدة ممن فرقتهم الحرب والسياسة ومعاناة الأمهات المنسيات البعيدات عن أبنائهن في يوم عيد الأم، إلى وجوه لافتة كالعامل الآسيوي عند الإشارة المرورية والصيني الذي يحب تونس وغيرهم.

يستحوذ ما يربو على ثلث الكتاب على أماكن حطّ الكاتب رحاله على أراضيها، تحدث عما يقارب الثلاثين مدينة من مختلف بقاع الأرض. تستهويه مقاهي المدن بأناسها وحركتها وصخبها، يعاين الجالسين حول الطاولات، ماذا يفعلون، فيم يفكرون وماذا ينوون فعله وفقاً لما يشي به مظهرهم. تشده مدن بعينها لارتباطها بأعلام من المبدعين الأثيرين كمدن الأندلس برضوى عاشور وبيروت بمحمود درويش وعمّان بعبدالرحمن منيف وبراغ بالجواهري وفورميا بغرامشي.

صال الكاتب وجال في عوالم المعرفة والعلوم على أنواعها وولج قضايا يطرحها العصر وتشكّل اهتمام الباحثين الاجتماعيين والناشطين كقضايا المرأة وحقوق الانسان والعلاقة المثلى مع الأبناء ومع العاملين بالمنازل، فوسن صديقة أبيها بموازاة كونها ابنته ومدبرة البيت فردٌ من العائلة لها مكانتها الإنسانية المحفوظة. وهي علاقة إنسانية رفيعة مع العاملين في البيوت تتجسد بشكل جلي في بيوت المثقفين التنويريين الخليجية والعربية أكثر من أي فئة أخرى.

ما كتبه د. حسن مدن ليس عصياً على التصنيف فإن رحنا لكلاسيكيات التصنيف الأدبي نجده يندرج في خانة الخواطر والتأملات والانطباعات وهو صنف أدبي كان ولم يزل موجوداً. وإن جئنا لمعطيات آخر صيحات التصنيف الأدبي فهذه الكتابات تنتمي بتقديرنا للنص السردي التأملي.

هذا النوع من الكتابة مزية يتمتع بها الصحافيون كتاب المقال اليومي ممن يلامسون قضايا شتى ويملكون قلماً رشيقاً ولغة بليغة عذبة في آن، فتجد طابع النص الأدبي يطغى على الكثير من المقالات التي تخوض غمار كافة أنواع المعرفة وقضايا الحياة. وليس أدل على ذلك من كتاب كبار كثيرين من القدامى والحاليين اشتغلوا بالصحافة وأصدروا أو ترأسوا تحرير صحف ومجلات وكتبوا المقال اليومي.

غزارة ما انطوى عليه كتاب د. حسن مدن من معلومات ومعارف، اضافة لتسجيل ذلك ببساطة أسلوب ولغة سلسة مطواعة بليغة، يوصل للقارئ أعمق الأفكار وأعقدها. وذلك لا يتأتى إلا لمن يتحلى بملكة الكتابة الأدبية ما جعل د. أحمد الخميسي يعجب كيف لا يكتب د. مدن أدباً.

هذا الكتاب يهمس لأرواحنا أن تلتفت لأشياء الحياة البسيطة فقد تكون أهمها وأجملها، يدعونا كي لا نتعجل دون أن نتأمل. الكاتب يحيل العالم في أعيننا إلى عالم أقل قبحاً، وفي ذلك فهو يحثنا كي لا تمر أيامنا باهتة ويحفزنا كي نرى الجوانب المشرقة من الحياة.

ماركس والسُكان الأصليون في المُستعمرات – ٣

ولكي نكون مُتأكدين، في مقال لعام ١٨٥٣ حول «النتائج المستقبلية للحكُم البريطاني في الهند» كَتَبهُ لصحيفة New York Daily Tribune، ماركس ذو الخمس وثلاثين عاماً، مُشبّعاً بالتفاؤل الثوري، قدّم الاستعمار البريطاني، على النمط الهيغيلي، "كأداة غير واعية للتاريخ،" تُمثل، وإن كان في شكل مُتناقض، حركة تقدُمية عالمية ضمن التاريخ بشكل عام. ومع ذلك، بقي نقدة للإستعمار صارماً: فكتب يقول "إن النفاق العميق والهمجية المُتأصِلة في الحضارة البُرجوازية، تكذبُ أمام أعيوننا، خارجة من موطنها، حيثُ تتخذُ شكلاً مُحترماً، إلى المستعمرات، حيثُ تُصبح عارية." بالإضافة، إلى أن "الظروف التاريخية المُتغيّرة، سمحت للنقد الثوري الشامل لماركس للإستعمار بالظهور الكامل بعد أربع سنوات فقط. في عام ١٨٥٧، في استجابة لاذِعة للإستعمار البريطاني في ضوء ما سُمي بحرب الإستقلال الهندية الأولى، أيد ماركس الحرب من أجل "الإستقلال الوطني" التي نظمتها "الرابطة الثورية" التي سعت إلى طرد البريطانيين من الهند. وقال، أن الحُكم الإستعماري البريطاني تأسس على "مبدأ تدمير الوطنية" من خلال التدمير العنيف ووسائل أُخرى. ومن تلك النقطة فصاعداً، تركز تحليلهُ بشكل مُباشر على التراجُع بدلاً من التقدم "اللاواعي" المُرتبط بالحُكم الاستعماري الأوروبي.

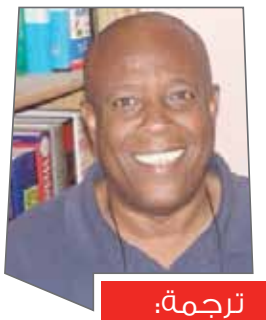

ترجمة:
غريب عوض

في سنواته الأخيرة، وضع ماركس جانباً العمل في المُجلدين الثاني والثالث من رأس المال ليس فقط بسبب هذا التماهي المُباشر مع ثورات الشعوب الأصلية، ولكن أيضاً بسبب الإلحاح الهائل الذي تصدى بهِ لدراسة المجتمعات غير الرأسمالية وأشكال المُلكية. كان إصدار مؤلف تشارل دارون Charles Darwin "أصل الأنواع" والأرتفاع الموازي للدراسات الأنثروبولوجية المُتبحِرة في الثقافات التقليدية للشعوب الأصلية وعصور ما قبل التاريخ مُمثلاً ما قد أطلق عليه "ثورة في الزمن الإثنولوجي"، أثار موضوع نقداً أكثر اكتمالاً وأكثر ثورية للمجتمع الرأسمالي. وفتح الإمكانية لتفهّمٌ راديكالي جديد كامل للعالَم التي بهِ يتم تغييره. وكان في هذهِ الفترة حينما تعلم اللغة الروسية لكي يتمكن من دراسة الأدب الشعبي لتلك البلد مجتمع قرية الفلاحين. وعلى إثر نشر المجلد الأول لكتاب رأس المال، توسع ماركس أيضاً في دراساتهِ البيئية، بالخصوص ما يتعلق بالزراعة. وعلى الرغم من ذلك، على نحو مُتزايد، استغرق وقتهُ منقبَل الأبحاث البائِسة تقريباً التي تُمثلُها دفاتر الإثنولوجيا الضخمة. بالنسبة لماركس، تضمنت هذه الدراسات أدِلة ليس فقط فيما يتعلق بالماضي، ولكن بالمستقبل أيضاً.

تضمنت دفاتر الإثنولوجيا لماركس مُقتطفات (واستكمالات) من الأعمال الأنثروبولوجية (عِلم الإنسان) للويس هينري مورغان Lewis Henry Morgan و جون بود فير John Budd Phear و هينري سومنير مين Henry Sumner Maine و جون لوبوك John Lubbock تم اقتباسها في الفترة ما بين عام 1880 إلى 1882. وفي عام 1879، اقتبس أيضاً الدراسات الإثنولوجية لعالم الإجتماع الروسي الشاب مكسيم كوفاليفيسكي Maxim Kovalevsky – الذي حضنهُ ماركس بنفسهِ – من مخطوطة كِتاب، المُلكية الجماعية للأراضي: الأسباب، سيرة وأسباب فنائها، التي أرسلها المؤلف لهُ. وبمعية هذهِ الدراسات، ملئ ماركس دفاتره بالتحقيقات حول الكومونة الروسية، وتاريخ الهند، وتاريخ العالَم. (دفاتر ماركس من العام 1880–1881 حول تاريخ العالم من أعمال كارلو غوسيبي غوغليلمو بوتا Carlo Giuseppe Guglielmo Botta، و فريدريك كريستوف شلوسير Friedrich Christoph Schlosser، تتكون من أربع دفاتر مُقتطفات، تقع في حوالي 1700 صفحة.) وفي عام 1880–1881، نَسَخَ فقرات من كِتاب "جافا؛ أو "كيف تُدير المُستعمرة (1861) لجيمس ويليم بي موني James William B. Money. كما درس ماركس وإنجلز كِتاب "The Native Races of the Pacific States of North America' للمؤرخ هيوبرت هاو بانكروفت Hubert Howe Bancroft، (تكون من خمس مجلدات)، بإشارة خاصة لقبائل جنوب شرق ألاسكا وشمال غرب الباسيفيكي.

أخذ ماركس مُقتطفات مُستكملة واسعة النِطاق من عمل لويس مورغن Lewis Morgan الرئيس "المجتمع القديم Ancient Society" الذي كان مؤسس على دراسات الأخير للأمريكيين الأصليين في الولايات المتحدة (على وجه الخصوص، عشيرة أيروغوس Iroquois، الذين كتب حولهم ماركس فيما بعد عمل سابق، "رابطة هو–دي–نو–سو–ني، أو أيروغوس). وفيما بعد ألف إنجلز كِتابه «Origin of the Family، Private Property and the State (1884)، "أصل العائلة، المُلكية الخاصة، والدولة (1884) أرتكز على كتاب لويس مورغن "المجتمع القديم"، ودفاتر ماركس حول لويس مورغن، ومصادرٌ أخرى. في دراسة ماركس لأعمال لويس مورغن، كما هو موضح في سطورهِ العامودية في صفحات دفاترهِ أكد على صفحات مُعيّنة – تركزت أولاً وقبل كل شيء على: (1) الطائفة، وصِلة الرحم (المجتمع القائم على القرابة)، بما في ذلك أساسه في الجينات أو العشيرة، وشكلهُ الديمقراطي، والمُساواة النسبية للمرأة؛ و(2) أشكال المُلكية الجماعية المُرتبطة بها، تُكوّن الاقتصاد الطبيعي بتجارتهِ غير السِلعية. كما أن ماركس أعار انتباهاً للمحاصيل المزروعة وأشكال االفِلاحة والزراعة. وكتب يقول " أن جميع أفراد عشيرة أيروغوس Iroquois، وفقاً لويس مورغن، شخصياً أحرار، مُستعدين للدفاع عن حُرية بعضهم البعض."

وكما كتب فرانكلين روزمونت Franklin Rosemont في كارل ماركس وعشيرة أيروغوس Iroquois،"

في صفحة تلو الأُخرى، يُسلط ماركس الضوء على مقاطع بعيدة جداً عن ما يُعتبر عادةً على أنهُ «الموضوعات القياسية» من عمله. ولهذا نجدهُ يستدعي منزلاً على شكل جرس للقبائل الساحلية في فنزويلا؛ تصنيع أحزمة عشيرة أيروغوس Iroquois "بإستخدام خيوط رفيعة مصنوعة من خيوط الدردار ولُحاء الزيزفون"، وأسطورة البيرو Manco Capac and Mama Oclo، 'أطفال الشمس'؛ وعادات الدفن في توسكارورا؛ واعتقاد شوني بمرض الذُهان؛ والأدب غير المكتوب للخُرافات والأساطير، والتقاليد"؛ والعلوم البدائية لهنود القرية في الجنوب الغربي؛ كِتاب Popul Vuh، الكتاب المُقدس لعشيرة Quiche Maya القديمة؛ واستخدام ريش النيص في الزخرفة؛ والألعاب الهندية والرقص كشكل من أشكال العِبادة."

بالإضافة إلى الملاحظات المُستفيضة حول عشيرة أيروغوس من

بقلم:
John Bellamy Foster

عند لويس مورغن، أخذ ماركس أيضاً مُلاحظات مُفصلة عن قبائل ديلاوير، وكري، وشاوني، وسريك، والتشيكاساو، والشيروكي، والسيمينول، والداكوتا، والبونيه، وفوكس، وبلاكفوت، وقبائل أخرى عديدة. كان في جميع القضايا مُهتماً «بممارسة الفنون» من قِبَل مُختلف القبائل والأمم الأمريكية الأصلية. تجنب ماركس تحديداً فكرة أحادية الطول لمسيرة التطوّر. وبالفعل، كانت دراستهِ مُركزة بشكل مُستمر على إعادة بناء الأشكال القديمة من المجتمعات الأصلية غير الرأسمالية على مستوى تاريخي أعلى، تُساعِدهُ استمرارية أشكال الثقافات/الأشكال الثقافية المُبكِرة. "وكتب روزمونت Rosemont يقول: "لقد قدم رأي مورغن النابض بالحياة عن شعب أيروغوس، لماركس وعياً حيوياً بواقع الشعوب الأصلية، وربما حتى لمحة عن ما كان يحلم بهِ آنذاك من إمكانية أن تُقدم هذه الشعوب مُساهماتها الخاصة في النضال العالمي من أجل التحرر البشري."

في الواقع، كان ماركس مُنغمساً في إدعاء مورغن أن العشيرة القديمة، كما يتضح من عشيرة أيوغوس، أحتوت النواة المجتمعية ليتم استنساخها على مُستوى أعلى في مجتمع المُستقبل المُختلط. وبتعبير مورغن، كما أخذهُ ماركس وأكد عليه: «سيكون إحيائاً [لمُستوى مجتمعي أعلى في شكل أعلى من الحرية والمُساواة واخوة النُبلاء القُدماء [مجتمع القرابة المُجتمعية». هذا شبيه برأي ماركس المُبكر، كما عبر عنه في عام 1868 في رسالة إلى أنجلز Engels، كان ذلك ضرورياً "أن تنظر إلى ما وراء العصور الوسطى إلى داخل العصر البدائي لِكُل شعب – وهذا يتجاوب مع الميول الإشتراكية، على الرغم من أن هؤلاء الرجال الأكاديميون [Georg Ludwig von Mauer، مشهور لِدراساتهِ للمجتمعي التعاوني الألماني المُبكر، و Jakob Grimm، خبير فقة اللُغة والمؤرخ الثقافي لم تكن لديهما فكرة عن [أن الأشكال التعاونية "البدائية" لها صلة بها [الميول الإشتراكية. ولهذا أُصيبا بالدهشة حينما أكتشفا إن ما هو جديد بالنسبة لهما موجود في مُمارسات لشعوب قديمة."

ونفس المنطق التاريخي العام موجود في مقتطفات ماركس حول ثقافات الشعوب الأصلية في أمريكا اللاتينية من كتاب «المُلكية التعاونية للأرض» للكاتب الروسي الشاب مكسيم كوفاليفيسكي. هُنا، كان ماركس مُهتماً بشكل خاص بالإنتاج الجماعي للشعوب الأصلية، وبتفكك هذا النوع تحت التأثير الأسباني، والأشكال اللاحقة للهيمنة الاستعمارية. ولهذا، في مُلاحظاتهِ حول المعاملة الاستعمارية الإسبانية للشعوب الأمريكية الأصلية، سجل ماركس: «السياسة الأسبانية الأصلية لإبادة الإنسان الأحمر. وبعد نهب الذهب وما إلى ذلك، الذي وجدوه، تم الحُكم على الهنود بالعمل في المناجم. ومع انخفاض قيمة الذهب والفضة، يتحول الأسبان إلى الزِراعة، ويُحولوا الهنود إلى عبيد من أجل زراعة الأرض لهم.»

والتقصي البحثي المُماثل حول تأثيرات الاستعمار على أشكال الإنتاج الجماعي يمكن رؤيتهِ في دفاتر وكتابات ماركس فيما يتعلق بالجزائر والهند. في مقتطفاتهِ المَقحمة من كوفاليفيسكي حول الجزائر، لاحظ ماركس (من خلال كوفاليفيسكي) أن «قرون من الحُكم العربي والتُركي، وأخيراً الفرنسي، بإستثناء الفترة الأخيرة ... لم يكُن بوسعهم تفكيك منظمة الأقارب [القائمة على القرابة ومبادئ عدم قابلية التجزئة للأرض وعدم قابلية تحويل مُلكية الأرض.» وعلى الرغم من هذا،

أولى اهتمامات الفرنسيين بعد غزوهم لجزء من الجزائر كان الإعلان أن أكبر جزء للمناطق المُستولى عليها أن تكون من أملاك الحكومة (الفرنسية) ... لويس فيليب Louis–Philippe، كخليفة للإمام ... لا يستولي على عقارات الدولة فحسب، بل جميع الأراضي المحروثة [عقارات عينية، من ضمنها المراعي الجماعية، والغابات، والأراضي البور... وبهذهِ الطريقة: من ناحية، مُلاك العقارات الجماعية السابقة <يتم> تقليصهم إلى وضع قاطنين مؤقتين في الأراضي الحكومية؛ ومن ناحية أُخرى، <هُناك> السرقة بالقوة لأجزاء كبيرة من الأرض تسكنُ فيها العشائر، وزراعتها لصالح المستعمرين الأوروبيين... والأراضي الجماعية في ظل الحاكم لويس فيليب تم وضعها تحت التصرف الحُر للإدارة العسكرية–المدنية التي أُقيمت في المُستعمرة.

أصبحت المصادر الفرنسية للأراضي الجماعية رسمية بموجب القانون سيء الصيت لعام 1873، الذي أنشأ أخيراً مُلكية خاصة في الأرض؛ بإمكان كل عربي الآن أن يتخلص بحرية من قطعة الأرض التي خُصصت لهُ كمُلكية خاصة؛ ستكون النتيجة: مُصادرة تُربة السُكان الأصليين من قِبَل المُستعمرين والمُضاربين الأوروبيين. لم يكن لدى ماركس أو كوفاليفيسكي، شك بأن هذا يُشكّل «نهبٌ مُباشر!» ويكتب ماركس في مُذكراتهِ: «مُصادرة العرب التي يقصدها القانون:1) من أجل إمداد الفرنسيين بأكبر قدر مُمكن من الأراضي؛ 2) من خلال تمزيق العرب من رباطهم الطبيعي في الأرض لكسر القوة الأخيرة لإتحادات العشائر وبالتالي حلها، وبالتالي، أي خطر للتمرُد».

يقول كوفاليفيسكي وماركس لكي تتمكن من الإستيلاء على الأراضي الجماعية من الجزائريين وتحويلها إلى مُلكيّة خاصة، روجت الحكومة الفرنسية فكرة بأن السُلطة المَلَكيّة أو الدولة الإستعمارية هي الوريث الشرعي لجميع الأراضي الجماعية والغابات والأراضي البور – وهي السياسة التي تبناها الإنجليز أيضاً في الهند وقد أشهرها جيمس ميل James Mill، الذي كان عملهُ مألوفاً جداً لدى ماركس.

وفي محاولة لإستعادة صحتهِ، أمضى ماركس شهران في الجزائر في عام 1882، والعام الذي قبل وفاتهِ وبضع سنوات فقط بعد أن أخذ المقتطفات عن الجزائر من كوفاليفيسكي. وفي رسائله التي بعث بها إلى إبنته لورا لافارغيو Laura Lafargue، أشارَ إلى إعجابهِ بالمُسلمين الجزائريين على "المُساواة المُطلقة في علاقاتهم الإجتماعية ... ورغم ذلك، بدون الحركة الثورية سيذهبون إلى الخراب والتهدُم».

وفي مقتطفات ماركس من كوفاليفيسكي، نجدُ أيضاً المُلاحظة بأن في البُنجاب، شمال الهند، من خلال «الرهن» أو «الأغتراب»، الذي يُقرهُ القانون، تعمل الحكومة الإنجليزية على حل ... المُلكية الجماعية للفلاحين، ومُصادرتها النهائية، وتطوير الأراضي الجماعية إلى المُلكية الخاصة للمُرابي.» وتعليقاً (من خلال كوفاليفيسكي) على «سَرقة العقار الجماعي والخاص للفلاحين،» كتب ماركس في دفاتر المُقتطفات لديه بأن هذا أفضى إلى «سلسلة كاملة من الثورات المحلية للفلاحين ضد مُلاك الأراضي.»

مُعبراً عن السياسة الإستعمارية الإنجليزية في الهند، كتب ماركس في «مسودة رسائله إلى الكاتبة الروسية فيرا زاسوليتش Vera Zasulich"، بأن "لم يكُن قمع مُلكية الأرض الجماعية سوى عمل من أعمال التخريب الإنجليزي الذي دفع السُكان الأصليين نحو التخلف بدلاً من التقدُم." وأدرك، أنهُ يجب تمييز الإنجليز عن جميع المُحتلين السابقين للهند حيثُ لم يحافظوا على الري، والقنوات، والسدود، ومستودعات المياة، وأنظمة صرف المياه، ووحدات تخزين الحبوب وغيرها من البُنية التحتية العامة، وبالتالي تمهيد الطريق للمجاعات الضخمة. في مُلاحظاتهِ عام 1867 من تقرير خاص عن مجاعة أوريسا أُجري لمجلس العموم البريطاني، أكد ماركس أن "الميل نحو الزيادة في الأراضي الزراعية" أدى إلى "تعرية الغابات الطبيعية"، مما جعل المواسم أكثر حِدة، والفيضانات أكثر سرعة وشمولية."

في جميع مُعالجاته المُختلفة للإقتصادات الطبيعية والتشكيلات الثقافية للسُكان الأصليين – الأكثر إثارة للأهمية المستقبلية لكومونة الفلاحين الروسية – رأى ماركس بشكل ثابت مثل هذهِ المجتمعات غير الرأسمالية للسُكان الأصليين كتعبيراً عن النضال الطويل من أجل التطور الحُر للإنسان، ذلك الذي تضمن الصِراع من أجل بقاء مجتمعات السُكان الأصليين وسيطرتهم على أراضيهم وحياتهم.

بالاعتماد على جاكوس دريدا Jacques Derrida حول شبح ماركس وبالتالي بشكل غير مُباشر على ماركس، أكد جيرالد فيزنور Gerald Vizenor مفهوم البقاء على قيد الحياة في مواجهة الأرهاب والإبادة الجماعية على أنهُ يُمثّل تجربة السُكان الأصليين. "إن البقاء على قيد الحياة بالنسبة للسكان الأصليين هو إحساس نشط بالوجود ضد الغياب ... إن قصص البقاء على قيد الحياة هي نبذ الهيمنة، والإنحرافات، والإضطرابات، والمشاعر التي لا تُطاق للمأساة، وإرث الضحية ... إنها مُقاومة نشطة ورفض.

اعتقال الشيخ الرئيس

حميد الملا

"الوهم نصف الداء والاطمئنان نصف الدواء والصبر أول خطوات الشفاء" – صاحب هذا القول هو ابن سينا العالم والفيلسوف، هذا الطبيب الجليل ألفّ أكثر من مئتي كتاب في مواضيع متعددة، حيث كان متوقد الذكاء ذا موهبة فذة وعبقرية لا تضاهى، نال من التنكيل ما ناله غيره من العلماء، فأحرقت كتبهم واتهموا بالكفر والزندقة، ومع ذلك ظلّت سيرهم وأعمالهم باقية رغمًا عن منكليهم، واستفاد منها العالم وأصبحت مدخلا للعلوم والبحوث الغربية فغربلت وطورت، وأصبحت كتبهم تدرس في مختلف الجامعات والمؤسسات البحثية والمدارس ودور العلم أمد طويل.

والحسين بن سينا عالم موسوعي طبيب وفيلسوف وعالم في الرياضيات والفل، وهو أول عالم كان يقرن الحالة النفسية بالمرض فكتب الكثير في ذلك، واشتهر بالشعروالمنطق، يتكلم العربية والفارسية ولد في العام 980 م ومن كتبه الشفاء في أربعة أجزاء وكتاب القانون والذي جمع فيه معارف في الطب مع النظريات والأمراض التي اكتشفها.

في رواية للمفكر والروائي المصري يوسف زيدان توصيف بليغ وعميق وراق لسيرة ابن سينا الطبيب والفيلسوف الفذ. الرواية صدرت عنً دار الشروق في العام 2018 بعنوان "فردقان ...اعتقال الشيخ الرئيس". وفردقان هي القلعة التي سجن فيها ابن سينا، وفيها تدور احداث الرواية، وكون الكاتب باحث ودارس للمخطوطات القديمة وهو صاحب رواية "عزازيل" الشهيرة، فلا غرو أن تكون هذه الرواية أيضًا فيها من التشويق ما فيها ومن البحث العلمي والفلسفي والتاريخي وفيها من العبر الكثير الكثير، والذي نحن في أمس الحاجة اليه في هذه الفترة العصيبة بالذات، مما أضفى على الرواية قيمة فنية رائعة سحرت كل من قرأها وبهرته وأعادت إليه سحر تلك السنين من التاريخ الإسلامي بحلوها ومرّها وماعاشه العلماء والفلاسفة والمفكرين من مرارات وما وقع عليهم من عذابات، وما انتابهم من حيف، وما حلّ عليهم من ظلم وصل إلى درجة حرق مكتبات بأكملها وخسرت البشرية الكثير من عصارة تفكيرهم وجهدهم.

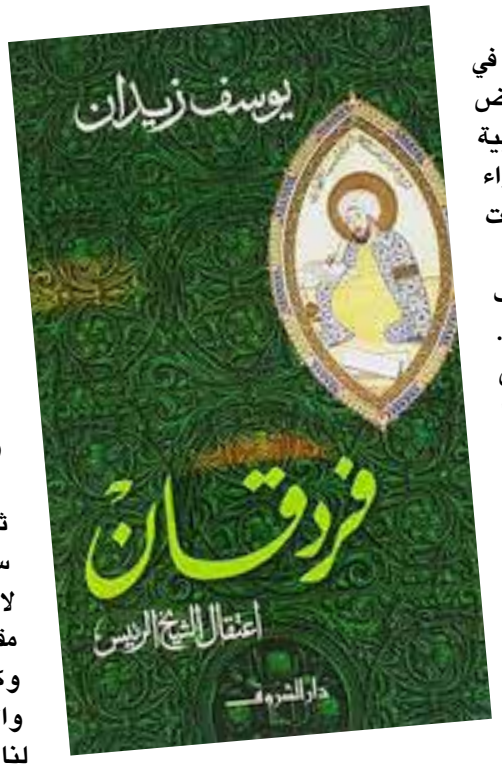

يصف زيدان قلعة فردقان وصفًا جميلًا بأنها قابعة هنا منذ قديم الزمان، وقد توالت عليها السنون حتى صارت تبدو للمتأمل فيها، مثل عجوز ثكلى تتكوم في سكون، وتظهر للناظر إليها من بعيد وحيدة لاشئ حولها إلا أرض يباب بلا مبان أو أشجار أو اخضرار ...الخ، وهي ملتقى طريقين من طرق التجارة وشيدت لحفظ الأمن يتوسطها بقايا من معبد للنار يعود تاريخه للعصر الساساني يأتيه الحجاج للتبرك، أو يعرجون عليه في طريق حجهم إلى جبل النار المقدسة المطل على بحرقزوين ويقع في المنطقة الجبلية المعروفة بجنجن بمقاطعة فراهان بإيران على مقربة من طهران.

يقدّم يوسف زيدان توصيفًا للقادم إلى هذه القلعة وإشارة إلى ابن سينا: "أما هذا القادم فهو رجل جليل القدر ومشهور كحكيم بارع، وله عند معظم الناس مقام عال، ومعتقل بأمرٍ أميري لمدة غير معلومة. وهو لم يحاكم أصلا ، فلا ندري كم سيبقى هنا إذا جاء".

حبس ابي علي الحسين بن سينا في تلك القلعة إثر الاضطرابات السياسية آنذاك والتنازع على الحكم بين تلك الدويلات، ولكن من حسن الحظ وعلى خلاف المعتاد يتحصل ابن سينا على معاملة خاصة من آمر القلعة المتنورالمكنى بالمزدوج مقدرًا للقيمة العلمية لهذا العالم الجليل ليعامل أحسن معاملة، وتقدّم له التسهيلات اللازمة والمتطلبات كي يواصل مشواره العلمي على الرغم من هذا الحبس. وأثناء وجوده في القلعة يقدم خدماته للقاطنين فيها والمحبوسين داخلها والمقدرعددهم بمائة وخمسين وفيهم مرضى كثيرون ليقوم بمعالجتهم والسهر على صحتهم، إضافة إلى إنهماكه في الكتابة وتحصيل العلم والمعرفة مما مكنّه من تأليف ثلاثة كتب أثناء اعتقاله وهي من أهم ما كتبه طوال حياته فكتب الهداية، رسالة في الفولنج، حي بن يقظان.

وهنا يشير يوسف زيدان إلى ذلك بالقول: "أنسته الممارسة الطبية إنه بهذه القلعة معتقل. فانهمك نهارا في فحص الأبدان، وليلا في تسويد ثم تبييض (مقالة في الفولنج).

"فردقان" رواية جميلة مزج فيها زيدان الخيال بالواقع في ثوب أدبي قشيب، ملحمة أدبية وتاريخية لعالم ومفكر كابن سينا وظفه زيدان لنشر الأفكار العقلانية وهو الذي يقول بأنه لا يجوز الاحتجاج بالنقل لدحض الحجج العقلية، لأن العقل مقدم بالضرورة على النقل، كونه الأعم في النوع الإنساني، وكونه مناط التكليف وشرطه الأول لبناء الحضارة العربية والإسلامية ومن خلاله بث رسائل عديدة أراد الكاتب إيصالها لنا من خلال اختياره لهذا الطبيب، وهو الذي أتى ثمرة زواج والدته (ستاره) الفارسية السنية المذهب ووالده عبدالله ابن سينا الإسماعيلي الشيعي.

وكأنما الكاتب يوّد أن يقول لنا بأن العظماء يسمون على الخلافات المذهبية والطائفية، ومن هنا نرى في سيرة إبن سينا كيف إنه لم يفرق في علاجه بين أبناء مختلف الطوائف والأعراق الإسلامية والمسيحية وغيرها من الأديان والمذاهب، بل اجتهد في معالجة الفقراء دون مقابل كما عالج الحكام والولاة، وتقلّب في سرايا الحكام من السنة والشيعة على حد سواء كوزير وطبيب.

رسالة أخرى أراد زيدان إيصالها من خلال هذه الرواية الرائعة وهى أن ابن سينا في حلقات العلم التي يعقدها للبحث والنظر والتأملات مع طلابه أباح لحبيبته (روان) والتي يروي زيدان عنها: "يرى في ملامح وجهها البرئ الوضاح، تماوج الحب والحياء وتدافع البراءة والرغبة، واضطراب الندف الثلجي حين تلعب به ريح الشتاء القارس. تلك المعشوقة التي هام بها عشقًا، سمح لها بأن تجالس طلابه للدرس والتحصيل لما يمثله ذلك من إعادة الاعتبار للمرأة وتقدير لمكانتها في المشاركة في تحصيل العلم والمعرفة، شريكة للرجل جنب الى جنب وكأنما يود ان يهمس في إذن الغلاة والمتطرفين بأن العلم للناس أجمعين ولا فرق بين مالك ومملوك ولا لفقير أو غني.

لما لا تكون (روان) مع طلابه وهي المحظية لديه (روان بحار من تحتها بحار،

وسماوات فوق سماوات حسنها بعضه ظاهر، ومعظمه مخبوء خلف الأردية والحياء. فإذا تجردت وتجرأت، سلبت العقل بفرط الليونة والنعومة والبهاء. كل ما فيها فاتن وساحر بقدر لا يقدر قلب المحب على الصبر عنه، ولا يكتفي منه بنوال. خصوصًا وهي المحبةً، المانحة، السكرى بالكؤوس وبالانفاس الساخنة السابحة بشفتيه فوق حناياها، وكل أنحائها)، وكما يقول زيدان: "الرجال مهما كانوا حكماء فإنهم لا يبرأون من الطيش الطفولي".

فقد كان الحكيم على الرغم من انشغالاته العديدة في التأليف والمعالجة وتدريس طلابه، محبًا للحياة منهمكًا في لذاتها شأن غيره من البشر آنذاك وفي ذلك الزمان، فالجواري والإماء والقيان الحسان ومنهن من يجدن العزف والغناء كن يعشن في كنف الحكام ورجالات الدولة، وهنا يسرد زيدان حال ابن سينا في توزيع أوقاته فيقول: صارت أوقاته موزعة على منوال واحد، في الصباح يعود المرضى ويصف العلاجات، ومن أوان العصر الى أول الليل يجالس تلامذته ويملي عليهم كتاباته، ويناقش معهم قضايا المنطق والفلسفة والإلهيات وبعد صلاة العشاء ينعقد مجلس الشراب والألحان والغناء. وقرب انتصاف الليل، يقوم منفردا الى غرفته فينكب على الكتابة وتبييض المسودات والأمالي. ثم يختتم يومه بسويعات سريرية في حضن "روان".

رسالة أخرى وجهها زيدان من خلال هذه الرواية وهي أن أمور الدول الإسلامية والتطاحن بين المذاهب لن يصطلح الا بوجود الدولة المدنية العلمانية التي ترعى شؤون المواطنين كافة دون تمييز طائفي أو مذهبي أو عرقي ليعيش الكل بسلام وأمان.

فهل انطق واستنطق يوسف زيدان في هذه الرواية الشيقة التاريخ وأحداثه من خلال اختياره لابن سينا كمثال حي على ما لاقاه الفلاسفة والمفكرين والكتاب والمثقفين من بطش وإرهاب وتعذيب حتى يومنا هذا من قبل الحكام والقابضين على سدة الحكم؟ ألا نعيش نفس السيناريو في هذا الوقت بالذات والاقتتال قائم بين الدول الإسلامية وكأنما التاريخ يعيد نفسه ؟

الوصف الجميل والمبهر للاحداث في هذه الرواية يأخذك بسحره إلى الفترة التي عاش فيها ابن سيناء طالبًا وعالمًا وانسانًا قبل كل شيء، له ما له وعليه ما عليه، وهذا الفن الروائي يتميز به يوسف زيدان شديد التميزعن غيره، فهي ميزة لا نجدها إلا عند القليلين من الرواة وبالخصوص إذا ما أخذنا بعين الإعتبار بأن زيدان مفكر ودارس للفلسفة وتاريخ العلوم.

يوسف زيدان أبدع رواية جميلة عميقة المبنى والمعنى والدلالات وبأسلوب عربي فصيح قلّ نظيره، وفتح كوة للباحثين للاستزادة من التاريخ للنهوض بالحاضر وأخذ العبر للمستقبل. ولا عجب إن احتفلت اليونسكو بمرور ألف عام على ولادة ابن سيناء في العام 1980 في دمشق، فذاك تكريم مستحق لهذا العبقري الفذ الذي خلّد اسمه بحروف من ذهب، فهل نحتفل بذكرى مرورألف واربعين عاماً على مولده هذا السنة؟. هذا مانرجوه

على العالم أن يفيق

د. حسن مدن

يقول فيودور ديستوفسكي في روايته «الليالي البيضاء»: «على الرغم من أن الماضي لم يكن أفضل فإن المرء يشعر وكأنه كان أفضل على نحوٍ ما، وأن الحياة كانت أكثر سلمًا، وأن المرء كان خاليًا من الأفكار السوداء التي تطارده الآن».

محقٌ ديستوفسكي. الماضي لم يكن أفضل من الحاضر بالضرورة. التاريخ البشري شاهد على فظائع من الحروب والكوارث والانتهاكات، وكذلك على الأوبئة التي حصدت أرواح الملايين. يمكن أن نعيد إلى الذاكرة جائحة «الإنفلونزا الإسبانية» التي اجتاحت العالم بين عامي 1918 – 1919، وطالت نحو 400 مليون إنسان، فيما يتروح عدد من قضوا بسببها بين 50 إلى 100 مليون نسمة، أي أضعاف ضحايا الحرب العالمية الأولى التي كانت، يومها، قد انتهت للتو.

الماضي لم يكن أفضل، لكننا في هذه اللحظة بالذات، حيث العالم من أقصاه حتى أقصاه، مبتلى بهذه الجائحة الفتاكة، نشعر أن العالم، قبلها، كان أفضل، فها نحن نرى الشلل وقد أصاب الكثير من أوجه الحياة، فيما كبريات العواصم والمدن التي لم تكن تنام، وتعج بالحركة وضجيج الحياة وصخبها، تحولت إلى أشباح، وأصبحت أعداد هائلة من الناس ملازمين لأماكن سكنهم، ناهيك عن أولئك الذين في الحجر الاحترازي أو في المستشفيات، فيما فارق عشرات الآلاف الحياة، وتسود العالم حالاً من اللايقين حول الوجهة التي نحن إليها ذاهبون، حيث تتعاظم الأسئلة، فيما تظل الأجوبة قلقة ورجراجة مسكونة بالشك.

ما يتعين التفكّر فيه مليًا اليوم، في حال اجتاز العالم المحنة بعد شهور أو اعوام، هل سيعود إلى سابق عهده؟ إلى «الماضي الذي يبدو أنه كان أفضل»؟، أم أن هذا العالم سيطرح على نفسه السؤال الأكثر أهمية: هل حقاً كان العالم أفضل، أم أن الأمر لا يعدو كونه مجرد وهم. أم لم يكن هذا الماضي هو نفسه الذي قادنا إلى الكارثة التي نحن في لجتها حالياً؟.

عالم فرنسي في الأحياء اسمه ديدييه راوول ينطلق من الملاحظة التي تكاد تكون محل اجماع من أن تجربة العالم مع «كوفيد 19» كشفت أن الدول الغنية ليست أكثر استعدادًا من الدول الفقيرة للتعامل مع الوباء وهي غالبًا بطيئة في الاستجابة، ليقول إن «العديد من البلدان التي لديها أعلى معدلات وفيات لفيروس كورونا هي «الدول الغنية». وهذا يكشف عن «انفصال بين الثروة والقدرة على الاستجابة لأزمات من هذا النوع»، حتى أن الدول الفقيرة، او بعضها على الأقل، حققت نتائج أهم من الدول الغنية والمتقدمة، وفي هذا السياق يتعين إيلاء العناية بما فجّره، وسيفجّره، تفشي «كوفيد 19» من نقاشات عميقة حول مدى كفاءة النظم السياسية في البلدان المختلفة في التعامل مع تحدٍ بهذه الخطورة، لم تعهد البشرية مثيلاً له منذ زمن طويل، منذ قرن على الأقل.

التعثر في مواجهة تفشي الفيروس أظهر هشاشة الكثير من برامج الحماية الاجتماعية، وبشكل خاص الرعاية الصحية، التي بدت عاجزة عن تأمين ليس متطلبات مواجهة هذا التحدي فحسب، وإنما حتى توفير الحدود الدنيا من العناية بصحة الناس، فحيث تغيب الخدمات الطبية المجانية، اتضح أن أعدادًا هائلة من البشر خارج التغطية الصحية التي عُهدت إلى شركات التأمين، التي تتعامل بمنطق المال والربح، لا منطق «الأنسنة».

على العالم أن يفيق! ما جدوى الهوس بالقوة، إذا كانت الدول المهووسة بها، لا تملك مستشفيات ومراكز صحية كافية، ولا عدداً كافياً من الأطباء والممرضين، ولا مخزوناً من الأدوية، والأهم نظاماً للرعاية الطبية، يجعل الصحة حقاً للجميع، لا للأثرياء وحدهم. حتى التأمين الصحي باهظ التكاليف لم يعد يجدي المشمولين به، فالأسرّة غير متوفرة، ولا أجهزة التنفس، ولا حتى الكمامات القماشية البسيطة.

من وحي مقطع من فيلم سوفيتي عن ابن سينا

السينما السوفييتية والقضايا العربية

حظي مقطع من فيلم سوفييتي قديم يعود إنتاجه إلى أواسط القرن الماضي (١٩٥٦)، ويتناول جوانب من حياة وإسهامات الفيلسوف والمفكر العربي – الإسلامي ابن سينا العلمية، لا سيما في مجال الطب، بإعجاب منقطع النظير لدى كل من شاهده من الروس والعرب على السواء، وذلك على إثر تداوله على أوسع نطاق في فضاء التواصل الاجتماعي؛ فقد تناولته بالتقريظ العديد من الصحف والقنوات الفضائية العربية.

رضي السمّاك

ولا شك أن مبعث الإعجاب جاء لما انبهروا به بما يتمتع ذلك العالم الموسوعي الفذ من معرفة علمية معمقة في مجال الطب، وهو مجال واحد من عدة مجالات علمية نبغ فيها، وقد تجلى ذلك – كما يتبين من الفيلم – في التدابير التي دوّنها وأوصى مجتمعه باتباعها للوقاية من عدوى الأوبئة الفتّاكة، كالطاعون أو ما سُمي «الموت الأسود» المنتشر حينها في بلدته، فضلاً عن تشخيصه الدقيق لخواص الفيروس وكيفية انتشاره؛ حيث كان كلاهما (التشخيص وسُبل الوقاية) شديدي الشبه بما توصل إليه علماء عصرنا بخصوص الأوبئة، ومنها «كورونا» قياساً بمستوى التطور العلمي والتكنولوجي الذي بلغه مجتمعه والعالم وقتذاك (عاش بين عام 980 م إلى 1037).

وبقدر ما يثيره انتشار بين جمهرة كبيرة من الناس بذلك المقطع من الفيلم السوفييتي وإعجابهم به من ارتباح في النفس، بقدر ما يثيره من لواعج من الأسى لما آلت السينما الروسية من تراجع كبير، ليس منذ انهيار الاتحاد السوفييتي فحسب، بل وإبان وجوده أيضاً.

ولن يعرف المرء المكانة التي كانت تتميز به السينما الروسية، مالم يعرف على الأقل شيئاً من تاريخها العريق وما كانت تلعبه من أدوار بالغة الأهمية على مختلف الأصعدة الثقافية والسياسية والإجتماعية منذ نشأتها أواخر القرن التاسع عشر والتي جاءت بعد شهور قليلة من ولادة السينما العالمية في باريس أواسط القرن نفسه على إثر ظهور أول جهاز سينمائي في روسيا، والذي بفضله ظهرت الأفلام الروسية البسيطة، ثم أخرج كميل سيرف أول فيلم روسي تناول فيها تتويج نيقولاي الثاني قيصراً على البلاد في الكرملين.

على أن مؤرخي السينما الروسية يعتبرون المحطة التاريخية الأبرزفي نشأتها جاءت خلال عامي 1907 و1908 حيث أنتج الكسند درانكوف أول فيلم روائي «ستينكا رازين»، وتأسست أول مجلة سينمائية مختصة بشؤون السينما. وعلى إثر ثورة اكتوبر الاشتراكية 1917 بقيادة لينين دخلت السينما الروسية طوال ما يقرب من قرن حتى سقوط الاتحاد السوفييتي 1991 في مرحلة جديدة من الصعود والهبوط؛ وكان لينين نفسه قد أدرك منذ البداية الدور الخطير الذي يلعبه «الفن السابع» في الثقافة والتوعية السياسية بين الجماهير؛ فرفع شعاره الشهير «السينما هي الأكثر أهمية لنا بين جميع الفنون» ، وكان خير من جسّد هذا الشعار وآمن به بعمق – كرسالة نضالية اشتراكية وإنسانية – الفنان الكبير والمخرج سيرجي ايزنشتاين مخرج الفيلمين الرائعين: «المدرعة بوتمكين» و«الإضراب»، وهما أول فيلمين كبيرين بعد قيام الأتحاد السوفييتي.

وبشهادة معظم كبار النقّاد في العالم اُعتبر الفيلم الأول هو الأجمل على الإطلاق في تاريخ السينما العالمية. ومع أن عدد الأفلام التي أخرجها خلال حياته ضئيل إلا أنها عُدت مهمة وإبداعية تعكس بصمات ليس مخرج عظيم فحسب؛ بل ومنظّر استثنائي في الفن السابع، ولا سيما في طرائق الأنتاج الذي يصف أهميته الفائقة بتعبير «هو الفيلم بأكمله»».

على أن هذا الفنان العبقري العظيم لم يحظَ للأسف برعاية رسمية كافية خلال سيرته الفنية القصيرة في ظل الدولة السوفييتية؛ وعلى وجه الخصوص فيما يتعلق بحاجته إلى هامش من الاستقلالية لتحقيق طموحه وأحلامه السينمائية الكبرى التي وأدت بفعل الوصاية الرعناء المتعسفة من قِبل قيادة الحزب الشيوعي الحاكم، وبخاصة خلال عهد القائد الفولاذي «ستالين»، مثله في ذلك مثل ما تعرض له سائر المبدعين من فنانين وشعراء ومثقفين، فقد اُخضعت بعض مشاريع أعماله السينمائية للتضييق أو التبييت دون الترخيص بالمضي فيها، من ذلك فيلمه « ايفان الرهيب » الذي صدر جزؤه الأول عام 1945، وظل جزؤه الثاني محجوزاً لدى الرقابة حتى عام 1958.

فيما حال رحيله المبكر سنة 1948 (عن 50 عاماً) دون تحقيق طموحه بإنجاز الجزء الثالث، وكالعادة لم ينجُ ايزنشتاين من التهم التنميطية الجاهزة، كالشكلانية والانحراف عن مبادئ الثورة وغيرها، وعندها أدرك أن المطلوب منه تمجيد «القائد الفولاذي» أكثر من مباديء الاشتراكية وثورة اكتوبر، رغم أنه نذر حياته النضالية الفنية من أجلها، هو القائل: «إذا كانت الثورة هي التي قادتني إلى الفن، فإن الفن أغرقني في الثورة كلياً». وإلى جانب هذا المخرج برز مخرجون آخرون كبار من نظرائه السوفييت أمثال المخرجة إسفير شوب، و فسيفولود بودو فكين، وبوريس بارنت، وغيرهم ممن برزوا بعد رحيل ستالين حتى انهيار الاتحاد السوفييتي.

إن غايتنا من كل العرض السابق هو التنويه بأنه إلى جانب دور السينما

السوفييتية في الداخل للترويج للفكر الاشتراكي، فقد كان لها أيضاً دور مواز مشهود لنشر رسالة هذا الفكر أُمميا في الخارج، علاوة على دعم حركات التحرر العالميةً، ومنها حركة التحرر الوطني العربية التي نرى ثمة تقصير كبير تجاهها، رغم ما حققته من انجازات في هذا الصدد، ومنها الفيلم السوفييتي «إبن سينا» الذي تناولناه آنفاً.

وأياً كان الأمر؛ فقد كانت غايتنا مما تقدم من استعراض عابر للمحات مميزة في مسيرة السينما السوفييتية هي التنويه بالدور المفترض المغيّب الذي شاب تلك المسيرة طوال عمرها فيما يتعلق تحديداً بدعم بلدان حركات التحرر الوطني العربية في الجانب الإعلامي السينمائي، بحيث لا يقتصر دعم الاتحاد السوفييتي لهذه البلدان على الجوانب السياسية والاقتصادية والعسكرية فحسب، بل يشمل الجوانب التراثية الفكرية الفلسفية والعلمية من الحضارة العربية – الإسلامية ؛ لاسيما أن روسيا كانت ومازالت أكثر دولة في العالم اهتماماً بالاستشراق وتزخر بمئات المستشرقين والمستعربين الذين قدموا دراسات تاريخية ولغوية موضوعية رصينة بخصوص التراث العربي الإسلامي؛ بل وفي تقديرنا أنه لولا هذه الدراسات المنشورة بالروسية لما أمكن كتابة سيناريو فيلم «إبن سينا». وربما وُجدت بعض الأفلام الروسية من هذا القبيل لكن الأرجح لم يتم الاكتراث بترجمة حواراتها إلى العربية.

ولا شك أن مثل ذلك الدور لو أعتنت الدولة السوفييتية به لكان من شأنه تعزيز مكانتها لدى مختلف فئات الشعوب العربية الإجتماعية علاوة على تياراتها السياسة، وليس اليسارية فقط ؛ وهذا ما يعزز قوتها الناعمة في المنطقة. فلئن كان مقطع من فيلم يتناول جانباً من منجزات علَم واحد من أعلام الحضارة العربية الإسلامية قد حقق كل ذلك النجاح والصدى الإيجابي لدى ملايين العرب فلنا أن نتخيّل لو كانت الدولة الروسيا اليوم لديها مخزون وفير من الأفلام الروسية المترجمة إلى العربية التي تتناول التراث العربي، وهي أفلام تتميز عن السياسية – الدعائية بأنها دائمة المنفعة ولا تتخطاها الأحداث، ولا تموت على مر الزمن، ومن ثم يمكن إعادة عرضها مرات ومرات. صحيح هي في زمان الاتحاد السوفييتي ماكانت ستحقق الانتشار الذي تحققه الآن مع التطور الهائل وسائل التواصل الاجتماعي، لكن كان بالإمكان بدرجة أو اخرى تحقيق مستوى من الانتشار من خلال عرضها في المراكز الثقافية السوفييتية في عدد من العواصم العربية ودور السينما التجارية فيها.

وحتى قناة RT التي توجهها الحكومة الروسية وتقدّم نفسها كامتداد لسياسات الاتحاد السوفييتي في تبني القضايا العربية لم تتجاوب سريعاً مع ما حققه مقطع الفيلم من نجاح بحيث تعمد إلى ترجمته كاملاً؛ لولا أن قام بذلك المذيع اللغوي الفلسطيني في قناتها محمد أبوسمية بمبادرة تطوعية لترجمته أثناء الحجر المنزلي خلال إجازته المهنية . وصفوة القول أن الاتحاد السوفيتي السابق كان أكثر اهتماماً بترجمة الأفلام الدعائية، رغم ندرة ما هو مترجم منها، وكذلك ندرة أو انعدام وجود ترجمة للأفلام التي تتناول أعلام تراثه الأدبي العظيم، رغم ما يحظى به هذا التراث من شعبية كبيرة لدى النخبة الأدبية العربية وسائر القراء من عشاق الأدب الروسي وبخاصة الأعمال الروائية.

ثمن الحياة

لقد أعـاد فيروس «كـورونـا»، وبشكل مـبرر، مصطلحات ومسميات كانت طي النسيان لفترة طويلة أو نادرة الاستعمال ولو نسبياً. مثل «تسطيح المنحنى» و«التباعد الاجتماعي» وغيرها. وبمجرد أن أعلنت منظمة الصحة العالمية أن «كوفيد-19» أصبح جائحة عالمية، صارت أخباره على كل لسان وبكل اللغات. لكن أن تتسبب الجائحة في ولادة مفهوم «ما هو سعر حياتك بالدولار» ولو مجازياً، فهذا ما لم يكن بالحسبان أو مبرراً بأي حال.

وبعد الجدل الحاصل حول رفع العزل الصحي ومدى كلفته البشرية مقابل العودة للعمل والإنتاج وإنقاذ الاقتصاد. لم يعد طرح هذا السؤال يقتصر على الفلاسفة، وإنما بات يعالجه ويدرسه الاقتصاديون وخصوصاً في الولايات المتحدة.

في السادس من أيار/مايو 2020، وبعد أن أودى الوباء بحياة أكثر من 250 ألف شخص في العالم، أجاب الرئيس الأمريكي دونالد ترامب عن سؤال عما إذا كانت عملية إعادة فتح الاقتصاد الأمريكي ستكلف التضحية بأرواح بشر، اعترف ترامب بأنه «من الممكن أن يحدث ذلك».

بات معروفاً أن إجراءات العزل وتجميد النشاط الاقتصادي أدت إلى ارتفاع معدلات البطالة في أمريكا ودول العالم. وفي فرنسا يكلف كل شهر من إجراءات العزل ثلاث نقاط من إجمالي الناتج الداخلي، بحسب المعهد الوطني للإحصاءات. وقد طرح بعض الاقتصاديين الأمر بصورة صريحة في قولهم خسائر في الأرواح أو خسائر اقتصادية؟

وبدأت سلسلة الحسابات الباردة والمخيفة، مثل اعتبار إنفاق 6.1٪ من إجمالي الناتج المحلي لنيوزيلاندا لإنقاذ أكثر من 33 ألف شخص مبرراً، ولكن ما الجدوى إن تجاوزت التكلفة هذه النسبة؟ وأيضاً إنقاذ حياة شخص واحد في الولايات المتحدة يؤدي إلى ضياع 200 وظيفة، أو أربعة ملايين دولار من الأجور في المعدل.

هل أصبحت حياة الإنسان مجرد رقم في حسابات الساسة والاقتصاديين، حتى الأمم المتحدة، ممثلة في منظمة الصحة العالمية تضع تقييماً للنفقات الصحية وفق مفهوم «سنة حياة بصحة جيدة»، أي أن كسب سنة حياة إضافية يجب ألا يتجاوز ثلاث مرات إجمالي الناتج الداخلي للفرد الواحد.

ويبقى السؤال عن كيفية تقدير هذه التكلفة، وهل ينبغي الاستناد إلى مستوى الدخل الفردي لكل من الأشخاص المهددين أو الضحايا، إن كان كذلك، فهذا يعني أن حياة الفرد في الدول الفقيرة لا تساوي شيئاً؟ أو أن قيمة رجل أعمال أو مضارب في البورصة هي أكبر من قيمة عامل بسيط أو موظف صغير؟

الجدير بالذكر هنا، أن وباء كورونا كشف أن المهن البسيطة التي يقوم عليها أناس بسطاء، مثل ممرضة أو عامل نظافة أو عامل في متجر للأغذية، والتي يحصل العاملون فيها غالباً على أدنى الأجور، هي الأكثر أهمية خلال الأزمة الحالية، وأن العاملين فيها قد تفانوا بصورة أدت لإنقاذ حياة الكثير من البشر، ومن المعيب قياس حياتهم بالعملة والناتج المحلي.

مونتي كارلو

نسر قاسيون

سأقصّ عليكم نبأ «نسر قاسيون» بشيء يشبه الحق.
الحقيقة أنّه ليس نسرا ولا يشبه النّسور في شيء.إن هو إلّا مجرّد عقاب عجوز يعاني من انبعاج كبير في بطنه.ورأس يداري صلعه بباروكة.يسكن مقبرة القضايا القديمة التي تعب من حمل حِملها أصحابُها فكانوا يرمون بها في تلك المقبرة السحيقة الموحشة لفترة من الزّمن في انتظار أن تمرّ قاطرة التاريخ فيحسم موظّفوها أمر تلك القضيّة ويقرّرون مصيرها. كانت في المقبرة قضايا كبرى وصغرى وتافهة من كلّ الأصقاع والأزمان.مركبة التّاريخ بطيئة جدّا جدّا والحسم طويل أمده.ومن كان طويل النفس كان يحسن الإنتظار ومن لم يكن طويل النفس من الخليقة، كان يرمي قضيّته هناك ويذهب إلى حال سبيله ليتسلّى بقياس حجم خصيتيه وتعداد ما يمكن أن تفرّخ من صغار يرميهم في الحديقة الزّرقاء ليخوضوا حياتهم وهو يتأمّلهم وتنتفخ أوداجه سعادة وفخرا وخراء أيضا.

قصة:هند الزيادي

«نسر قاسيون» لم يكن إسمه.إسمه الذي عرفته به هو عبد الواحد بن سالم الرّمادي. كان إسمه يتوسّط إسم قائمة النّاجحين دوما في الكليّة.لا هو بالذّكيّ الذي يسطع نجمه ولا هو بالغبي الذي يترك فرصًا تفوته دون أن يستغلّها ليخرج من وسط قائمة البشرية وينحت لنفسه كيانًا محترمًا بين الناس. ولكن لأنّ معايير الإحـترام تختلف من عصر إلى آخر ومن جيل إلى جيل .كانت موهبة «نسر قاسيون» هي في التلوّن بلون موضة الإحترام في هذه السّنة أو تلك. وهذا كلّه عرفته لاحقا بعد المصادفة السّعيدة التي جمعتني به في أحد اللقاءات التي تتفوّق فيها قلّة الأدب على الأدب.كان غريب الأطوار ، عجيبها. تعرف منذ أوّل كلمة ينطق بها انّ الرّجل لم يخرج سليمًا معافى من سنوات الجامعة، بل لعلّك تتمادى وتسأل نفسك: «هل كان سليما آنذاك ، أيّام الجامعه، من الأساس؟»

ظللت أسمع خطابه الذي قام ليلقيه على أنّه مجرّد مداخلة في نهاية اللقاء، فإذا به يتحوّل إلى كعبة للتقدّميّة.وكان الزّبد يتطاير من فمّه وحدّة صوته تتصاعد وهو يخطب ويحوّل الحديث من شأن أدبي بحت تتصارع فيه مدرسة الحداثة مع مدرسة ما بعد الحداثة إلى عرض لمراحل نضاله وبطولاته في التصدّي للديكتاتورية ونضاله أيام الجامعة.كلّ هذا وأنا أنظر ولا أتضجّر كما كان يفعل كلّ المدعويين الذين أزعجهم كلامه الذي لا يحمل معنى.لم يكن ذهني مشغولا بالتضجّر بل كان يعمل بسرعة الضّوء يفتّش عن ذلك الوجه في شوارع ذاكرتي وزواريبها وأركانها المظلمة المهجورة رغم الرّيح التي كانت تصفّر فيها وتكنس كلّ شيء يمضي عليه أكثر من سنة.

إلى أن صطدمت ذاكرتي بصورة منشفة برتقالية تتطاير بسرعة كبيرة إلى مقبرة النسيان خلفي.كان لونه برتقاليّا فاتحا.

أصابني صداع نصفي من شدّة تركيزي لأفهم علاقة تلك المنشفة بعبدالواحد بن سالم الرّمادي.ثمّ سطع النّور فجأة مما زاد في حدّة الألم.المنشفة.تلك المنشفة كانت هي ما غطّي بها رأسه ذات يوم لمّا كان حديث الكليّة كلّها.

أيام كان القمع على أشدّه وبن علي وجنوده كانوا يتفنّنون في ترويعنا في الكلّيات، وكان رجاله آنذاك لا يتورّعون عن الهجوم ليلا على المبيتات في الكليّات لتكسير عظام الطلبة وتخويفهم من أجل منعهم من التظاهر في قضيّة مّا أو من اجل منعهم من إضراب أو من النزول إلى وسط المدينة لإعلان الرفض.فكنّا نصبح في ساحة الكّلية على أخبار فلان الذي أعتُقل، وفلان الذي هرب للمبيت عند أقارب له في المدينة وفلانة التي أخرجوها من فراشها ليرموها في ساحة المبيت الباردة ويطلبوا منها الزّحف وهي التي لا تفقه من السّياسة شيئا.فتفاجئهم بانهيار عصبيّ صحيح أو مفتعل لتُحمل على جناح السّرعة عائدة إلى غرفتها مع محظوظتين من رفيقاتها اللتين يكلّفهما الشرطي بمرافقتها وتهدئتها.

كانت تلك الأخبار موضوع الأحاديث والتندّر والنقاشات والإجتماعات لأيّام طويلة بعد حدوثها.وبما أنّ الزمن كان زمن شدّة وكرب فقد كان لكل فصيل من التلك الفصائل طلائعه الخاصة وشرطة التّحريات الخاصة به.ونظر لأنّ متطلبات العمل السرّي دقيقة، فقد كانت تلك الطّلائع تبحث آنذاك عن من كان يعطي أخبارنا جميعنا للشرطة، ويسرّب لها مواعيد نزولنا في مظاهرات فتستبقنا وتغلق تلك الممرّات والشوارع ونشتبك معها وتضربنا ونتفرّق ثم نعاود اللقاء في مكان آخر لنحصي الخسائر ونفخر بالمكاسب ونضحك من المهازل أو من المواقف الفكاهية التي تصادفنا آنذاك.إلى أن كان أحد تلك الصّباحات.صباحات ينتصر فيها داوود على جالوت.كانت تترامى إلى اذهاننا اخبار مبهمة عن حدثٍ جلل حصل البارحة. ولانعرف حقيقته إلى أن دخل علينا شخص ضئيل الجسم يغلبه طُول ساقيه وهو يضع منشفة برتقالية اللون على رأسه.لم يكن خارجًا من الحمّام ساعتها.بل كان يخفي بالمنشفة شعره الحليق.كانت نظرته إلى الأرض وخطواته سريعة ووجهه متجهّم وحطام كبريائه يقف في حلقه كغصّة لاتزول. وكان حلق شعر الرّاس على آخره علامة لا نخطِئها أبدا.

الواشي الذي انشغلت بالبحث عنه كلّ الفصائل سقط.الجرذ وقع بغلطة بسيطة ارتكبها.قابل مسؤولا أمنيا جديدا دون أن يتحرّى الأمر وقدّم له تقريرا مفصّلا وهو لا يعلم أنّ المسؤول الأمني الجديد ليس سوى طالب قديم في إحدى الكّليات الأخرى،إستعان به فصيله، وقد أعطاه قدم عهده بالدراسة ووسامته شيئا من الهيبة التي تصلح لانتحال شخصية رجل أمن مهمّ. بعد أن كانت الشكوك قد بدأت تحوم حول بضعة طلبة يعدّون على الأصابع ومنهم عبد الواحد بن سالم الرمادي.

انكشف الجرذ إذن وحُلق شعره وعرفه كلّ من في الكلّية وأهين إهانة مابعدها إهانة. حتى أصحاب القضايا العادلة يمكنهم أن يتحوّلوا إلى ضباع في بعض المناسبات.النفس البشرية معقّدة جدا.

كانت سنة المنشفة البرتقالية الفاتحة هي سنته الأخيرة قبل التّخرج. وبعدها اختفى من شاشة الرّادار تماما. وانزوى في ركن من الزّمن يريد أن يُنسى.وتضاءل حتى اختفت

عنّا اخباره. إلى أن صادفته في ذلك اللقاء الأدبي.رأيته ورآني.ولعلّه ظنّ أنّني نسيت فقد ارسل لي بعدها بأيّام دعوة فيسبوكيّة باسم غريب «نسر قاسيون». ولمّا كنت لا اقبل دعوات فيسبوكية من أشخاص يحملون أسماء مستعارة تجاهلت الدّعوة.ولكن ذلك لم يمنعني من التتفتيش في صفحته وفي أرشيفه عن شيء يدلّني على هوّيته. فإذا به صديقنا أبو المنشفة البرتقالية.عبد الواحد الرّمادي صار إسمه «نسر قاسيون» بعد مسيرة نشوء وارتقاء وتطوّر امتدّت على أكثر من عشرين سنة. أو لعلّه زُرع وسط أهل البعث لغاية إليكترونية في نفس يعقوب الذي لم يعرف الفيسبوك أبدا.

رفضت صداقته الإفتراضية وظننت أنّ الأمر انتهى عند هذا الحدّ وأنّه برفضي لدعوته قد ارعوى واتّعظ وفهم المسالة دون أن يضطرّني لجرح مشاعره.لكنّني على ما يبدو لم أقدّر الأمر حقّ أمره ولم أفهم أن ما أصاب عبد الواحد وجعله ينقلب من» عبد الواحد» إلى «نسر قاسيون» كان أمرا عظيما، وأنّ المنشفة البرتقالية قد تركت أظافرها في روحه وندوبا أفقدتها بوصلتها السّوية. وصار عنديّ رسميّا «حالة» يجب أن تُخلّد في صفحة مّا. لعلها صفحة رواية مثلا لتكون شهادة للتاريخ وعلم النّفس معا.أو صفحة أمنيّة مّا.

حدث الأمر منذ بضعة أيّام لمّا وقّع الرئيس المريكي ترامب على وثيقة تحويل سفارته إلى القدس فرمى حجرا في بركة القضايا الرّاكدة ومقبرتها فتحرّك الناس وهاجوا وماجوا كعادتهم عندما يسقط عليهم حجر وهم نيام في مربّعاتهم داخل مقبرة التاريخ تلك.وكنت من أولئك النّاس.حزمت أمري وقلت:» فلأحتجّ ولأنزل مع النّازلين « وكان الأمر كذلك.و لما انفضّت الجموع المحتجّة.جلست مع لوحي المكتوب الذي كنت أحمله على أطراف نصب تذكاري لأرتاح استراحة المحارب قبل ان أقوم من جديدي لأخوض معاركي الخاصّة التي تركتها تنتظرني على بوّابة حياتي. وإذا بي أرى «نسر قاسيون» قد حلّ ركبه ومعه بعض المريدين وقد اتّشح بالكوفيّة الفلسطينية ووقف تحت الشجرة التي تتوسط ميدان الشلّي، ووقفت إحدى مريداته الصّغيرات تصوّره بكاميرا هاتفها، وهو يلقي خطبة عصماء عن الصّمود وفلسطين وقوى الرّجعية والقدس الإسلاميّة.كان الزّبد يتطاير من فمه وعروقه مكتظّة بدم الغيرة والنخوة وهو يخطُب مركّزا نظره على كاميرا الفيديو التي كانت تصوّره و يتجاهل المجموعة الصغيرة التي بدات تتحلّق حوله ممن اشفقوا على انفسهم من مشقّة الطواف في شوارع المدينة والصراخ تحت شمسها الحارقة.أو من إشتباك محتمل مع قوّات الأمن المتأهّبة للتّدخل في حال خرج الأمر عن مجرّد ظاهرة صوتية تأخذ أمدها وتنتهي.

كان الكائن الإسفنجي داخلي يستيقظ كلّما اجتمع الإخوة الأعداء داخل مسيرة مّا ليلتقط التعابير والوجوه ولغات الأجساد. الإسفنجة تسجّل كلّ شيء حتى صدق النظرات أو لامبالاتها أو استهزائها أو حزنها. والإسفنجة كانت تتجول بنظراتها بين كلّ المشاركين بحثا عن وجوه تعرفها وبحثا عمّن رابط على مبدئه ومن باع ومن تغير ومن غاب.

وكان من سوء حظ «نسر قاسيون» أنّ الكائن الإسفنجي كان منهكا يرتاح، ولكنّه لم يكن فاقدا للذاكرة.لذلك لم يلحظه عندما كان يقلّب النظر في المشاركين أثناء المسيرة.

«نسر قاسيون»جاء بعد انتهاء كلّ شيء ليسجّل موقفا على شريط فيديو، وسيكون هذا الموقف وثيقة في سجلّه يحتاجها عندما تتطلّب المرحلة صناعة أبطالها الجدد وعندما يحتاجون إلى وجوه جديدة تتصدّر المشهد وترضى بمرتّبات أقلّ ممن قبضوا قبلهم.

«نسر قاسيون» كان قديما قنوعا، كان ثمن تقاريره «كسكروت» وتذكرة عودة بالحافلة إلى مسقط راسه.فماذا تراه سيطلب مستقبلا؟ وهل سأراه يوما ببطنه المنبعج نازلا من سيارة ليموزين فارهة ليفتتح مصنعه الخاصّ أو قناته التّلفزيّة؟

حقّا، لا أعرف.

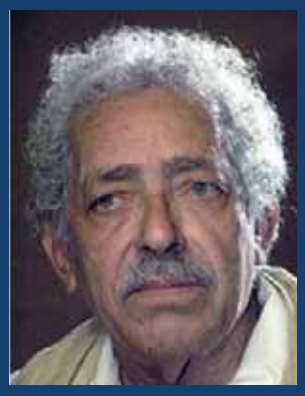

آدم حنين: وداعًا

كان آدم حنين وقتها مقيماً في باريس التي قصدها للتفرغ لفنه، وقضى فيها نحو ربع قرن، حين استدعاه فاروق حسني، وزيرالثقافة يومها، فاروق حسني للقاهرة. كان كتف تمثال أبي الهول قد وقع، ما أثار هلعاً شديداً على وضع ومستقبل أثر من أهم آثار الدنيا كلها، إليه تشرئب أعناق عشاق الحضارات في كل مكان. وحين التقى الوزير بآدم حنين شرح له سبب استدعائه من باريس. قال له: أريدك أن تتولى ترميم التمثال. ردة فعل آدم كانت فورية. قال للوزير: «هو أنا مجنون علشان ألمس تمثال أبو الهول»! ردّ عليه فاروق حسني: لا أحد سواك أقدر على ذلك، ومن فوره دعاه إلى الذهاب إلى الأهرامات، حيث يقع التمثال، لمعاينة ما تعرض له من ضرر، وهناك وافق آدم حنين على تولي المهمة، وتشكلت لجنة ضمت مسؤولين ومختصين لإنجازها، حتى تمت بنجاح.

آدم حنين الذين رحل عن الدنيا جسداً فقط مؤخراً عن 91 عاماً، ولد في 1929 وحصل على بكالوريوس كلية الفنون الجميلة قسم النحت 1953، واستكمل دراسته بأكاديمية الفنون الجميلة بميونخ لمدة أربعة فصول دراسية، وعمل لفترة قصيرة رساماً صحفياً، لكن اسمه برز كنحات مبدع على المستوى العالمي، وليس على مستوى مصر وحدها، واستخدم في أعماله مواد متنوعة مثل الجرانيت والبرونز والجص والحجر الجيري والفخار، وإليه يعود الفضل في تأسيس «سمبوزيوم» النحت الدولي في أسوان، الذي أشرف عليه منذ بدايته عام 1996.

ينسب إلى النحات مايكل أنجلو قوله حين سئل عما يفعله لكي يبدع أعمالاً عظيمة بهذا الشكل: «إن الأمر بسيط جداً. عندما أنظر إلى كتلة الرخام أرى التمثال الذي بداخلها، لا يبقى أمامي سوى إخراجه من هناك بإزالة الزوائد عنه». من واقع تجربته قال آدم حنين شيئاً مشابهاً: «الحجر بيتكلم! هو يقترح عليك الموضوع». هي آية المبدعين الكبار الذين يرون ما لا نراه، والذين تبلغ مخيلتهم آفاقاً لا يحدّها حد.

حين عاد إلى مصر نهائياً بعد غياب، وضع نصب عينيه إقامة متحف لأعماله، التي يفوق عددها أربعة آلاف قطعة، وهذا ما أنجزه فعلاً حين حوّل قطعة أرض يملكها في منطقة الحرّانية إلى متحف كبير تحيط به حديقة جميلة، افتتح في عام 2014.

الرسم كان من بين نشاطاته الفنية أيضاً، ومثل فرعوني قديم اختار الرسم على أوراق البردي بأصباغ طبيعية، ومن أجل رسم رباعيات صديقه صلاح جاهين التي أنجزها عام 1960 استخدم الحبر الهندي على الورق، وأفرد حنين لها حيزًا في متحفه. كان جاهين يكتب وحنين يرسم دون أن يطلع أحدهما على عمل الآخر، ثم يجري اختيار الرسم القريب في روحه من روح رباعية بعينها. كأن الرجلين رئتان في جسد واحد، أو جسدان برئة واحدة.

صوت المثقف وحيد، لكنه رنانا!*

بتول حميد

كم أنت خائف من تلويث يديك. حسناً، فلتبقَ نقياً! كيف يساعدنا هذا ولماذا جئت إلينا؟ النقاء هو مثال للزاهد والناسك. وأنتم أيها المثقفون، أيها الفوضويون البرجوازيون أنتم ترون هذا كاعتذار عن عدم القيام بشيء. لاتفعل شيئاً، ظل كما أنت، فلتبقَ يداك في خاصرتيك، فلتلبس قفازات الأطفال. أما يداي فهما قذرتان. لقد غمستهما حتى المرفق في الدم، فماذا إذن؟ هل تستطيع أن تحكم وتظل روحك بيضاء؟

الفقرة أعلاه مقتبسة من مسرحية «الأيدي القذرة» لسارتر، إذْ يخال الكثير من المحسوبين على الثقافة بأنها ترفاً مخملياً يركن في بروج عاجية، في الوقت الذي يرى البعض أن الثقافة يجب أن تكون قماشاً شعبيا يُعوّل عليه الارتقاء بالمجتمع عبر تلمس ثقوبه وسدّ فجواته وتهذيب مخالب من يشوهون وجهه الإنساني وإدراك الفارق بين المثقف التقليدي والمثقف العضوي – بحسب غرامشي – الذي يرى بأن كل البشر مثقفون بمعنى من المعاني ولكن ليس جميعهم يملكون الوظيفة الاجتماعية للمثقفين.

ومن دون نظرة فاحصة للمشهد الثقافي؛ يمكننا أن نتلمس الاختلاط المستمر بين ما هو رأي شخصي وما هو واقع مما يؤدي لحدوث تصادم تكرسه النمطية والقناعات الجاهزة. ولا يستطيع أحد تفادي هذا التصادم إلا بتحطيم التابوهات المقدسة ورفض تأطير صورة المثقف التي يجب أن تتمتع بانتقائية مجردة من الأهواء و قدرة حرة للكفر بالتبعية العمياء وتحقيق الاستقلال الفكري. فالتحدي الذي ينبغي أن يخوضه المثقف هو أن يكون انتقاديا رافضا لتبني الأساليب الخطابية الملقنة، ينفتح للشك والسخرية الشكلية. التحدي ذاته الذي يلح بسؤال إدوارد سعيد الكبير: هل يكفي أن نكون مثقفين لأنفسنا؟

يفك المفكر الفلسطيني إدوارد سعيد جدال توصيف المثقف بسلاسة في كتابه (الآلهة التي تفشل دائماً) «إن المثقف بحسب مفهومي للكلمة، لا هو عنصر تهدئة ولا هو خالق إجماع، إنما إنسان يراهن بكينونته كلها على حسّ نقدي، ويمتلك موقف الإصرار على رفض – الصيّغ السهلة – والأقوال الجاهزة المبتذلة والتأكيدات المتملقة والدائمة المجاملة لما يريد الأقوياء والتقليديون قوله أو فعله. ولا يقتصر رفض المثقف والمفكر على الرفض السلبي الهامد، بل يجب أن يكون رغبة تلقائية نشطة في الإفصاح عن ذلك علناً".

يرسم سعيد تصوّره للمثقف بريشة واضحة لا تكتمل بدون دعامتين، أولاُ الانشقاق عن كل ما هو إتباعي ومبتذل ومكرس. وثانياً الالتزام بمعايير الحق الخاصة بالبؤس الإنساني، الأمر الذي يؤكد أهمية نزع هوية المثقف بالشكل الذي يسمح له بالابتعاد عن احترافيته الروتينية أو تخصصه الضيق، لأن المشكلة الجوهرية في نظره، تكمن في كيفية التوفيق بين هوية المرء وحقائق ثقافته ومجتمعه وبين واقع الهويات والثقافات والشعوب الأخرى من دون أية مفاضلة شوفينية لثقافة على أخرى أو شعب على آخر.

وبهذه المزاوجة يستهدف سعيد النخبة المثقفة باعتبارها المعنية بالمشاريع التنويرية للإنسان والمنوطة باستثمار جهوده وفكره لتوفير مساحات يرتع فيها التعايش الحر. الحرية التي تمزج بين التعريف بالممارسة الإنسانية ورسم حدودها ووظائفها من جهة، وعملية النقد التي تهدف إلى تعقّب البديهيات الراسخة والأحكام المسبقة والتخلي عن المعادلات السهلة، التعميمية والاختزالية والتي تفتقر إلى الموضوعية وتكلف طاقة المثقف من جهة أخرى.

إننا حين نمعن في صورة سعيد سنجده نموذجًا لافتًا، كونه فلسطيني الجذور أمريكي الجنسية، وأستاذاً للأدب الإنجليزي والأدب المقارن في جامعة كولومبيا، ناقدًا موسيقيًا بارزًا في صفحات ثقافية أمريكية سابقة، عازف بيانو هاويًا ومدافعًا صلبًا عن القضية الفلسطينية في الصحف الإخبارية والمحطات التلفزيونية. لا يختلف أحد على أنه وجه مثير للجدل على المستويين العربي والعالمي، إذ مثلت تجربته الثقافية وممارساته النقدية استيقافاً خلاقا لمفهوم الهويّة المهجنة، هو نموذج لافت لتماهي الهويّات لتصل لهوية اللا مكان الرافضة لتصنيف الدين والأيديولوجيا والتوجهات وللمزايدات الرتبية لمثقفي التيار الأصولي، ولعل هذا سبباً كافياً لتحقيقه نقداً عالمياً تخطى حدود الفروع العلمية من خلال تجاوزه لأصوله الأكاديمية والقومية ليطالب بخطاب عربي متمايز يمارس النقد الذاتي. يقول سعيد في كتابه «الآلهة التي تفشل دائماً"إن كون المثقف هامشياً وغير مجن مثل شخص ما في منفى حقيقي عليه أن يكون مستجيباً على نحو غير عادي للمؤقت المنذر بالخطر لا للمعتاد، للابتكار والتجربة لا لشرط الوضع القائم بقوة السلطة وللسكون الراكد".

وفي رثاء الشاعر الراحل محمود درويش لسعيد كتب الأول «لا أستطيع أن أودع إدوارد سعيد، من فرط ما هو حاضر فينا وفي العالم، ومن فرط ما هو حيّ. ضميرنا وسفيرنا إلى الوعي الإنساني سئم، من الصراع العبثي الطويل مع الموت. لكنه لم يسأم من مقاومة النظام العالمي الجديد، دفاعاً عن العدالة، وعن النزعة الإنسانية، وعن المشترك بين الثقافات والحضارات. كان بطلاً في مراوغة الموت طيلة اثني عشر عاماً، بتجديد حياته الإبداعية الخصبة، بالكتابة والموسيقى وتوثيق الإرادة الإنسانية، والبحث الحيوي عن المعنى والجوهر، ووضع المثقف في حيّزه الصارم. لو سُئل الفلسطيني عما يتباهى به أمام العالم، لأجاب على الفور: إدوارد سعيد، فلم ينجب التاريخ الثقافي الفلسطيني عبقرية تضاهي إدوارد سعيد المتعدد المتفرد».

لم تكن صفحات "الآلهة التي تفشل دائماً" مثلاً، إلا مجاهرة أكاديمية علنية بانحياز سعيد للتوجه الإنساني والفكر النقدي الذي ينبعث من نقد الذات وفتح مداركها على كل ما هو مختلف ومغاير، مستثمراً كل رصيده المعرفي بدقة وحصافة على وقع المأزق التاريخي الذي يحتاج إلى تحليل شامل يعيد زخمه الحيوي.

* العنوان مقتبس من كتاب إدوارد سعيد/ الآلهة التي تفشل دائماً

واحة الفكر

ها قد أفصحت وخلّصت روحي (مقتطف)

لوي آلتوسير

ترجمة وإعداد: هشام عقيل

لماركس إنفجار أخير في «ملاحظات حول فاغنر» (1883) التي دحضت كل المزاعم المطروحة (للقيمة بوصفها مفهوماً في القيمة الإستعمالية والتبادلية: إستنتاج يرمز للاخريات)، ثم سافر من لندن إلى الجزائر لينسحب نحو الموت، من دون التبرؤ من انغلز أو مؤلفهما (الإشتراكية: الطوباوية والعلمية) الذي كان يعكس سلطته العالمية. وبذلك أنه انغلز، «الجنرال» انغلز الذي كان يحكم عبر التدخل في الحركة العمالية في كل مكان، في الوقت الذي تبقى له للعيش، هو من وضع لنفسه مهمة إدارة الوحدة الوهمية لهذا « العمل». فإنه كان يكتب بوضوح شديد، الكل كان يفهمه، والجميع أعجب بعلمه الموسوعي الذي تحدث عن كل وأي تاريخ، تحت اسم هذه الفلسفة: المادية الديالكتيكية. مادية أكثر، ديالكتيك أقل؟ أم ديالكتيك أكثر، مادية أقل؟ هذه هي اشكالية الخلفاء، من بليخانوف وبيرنشتاين إلى لوكاش.. والكل سيجد موطنه الخاص، من دون إيجاد حل لهذه الإشكالية، كل منهم يمر عبر تطرف نحو آخر في رؤيته الخاصة، هذه علامة أن هناك شيئاً لم يعمل في هذا التعبيرالوحشي، ايّ الوحشية الفلسفية، بما أن لا يجده المرء حاضراً في أى جزء من التاريخ الكلي للفلسفة. هذا العجز في تفكير تاريخ الفلسفة عبر هذا التعبير، من أبيقور إلى لاسال ثم إلى بيليخانوف، وبيرنيشتاين، ولوكاش، يحمل دلالات عظيمة: أنه يدل على أن المفاهيم المطروحة هي ليست مناسبة لأي شيء غير إقرارها لذاتها. الذين استفادوا هم بيلخانوف ولينين نفسه، ثم ستالين في الأيام القديمة حين كانت دوغمائية العلمين تطغي، وبما أننا هنا لمَ لا تكون هناك لغتان؟ وموسيقتان؟ وأدبان؟ ("الواقعيةَ الاشتراكية") ومنظوران للعالم: أحدهما بورجوازي، وثانيهما بروليتاري؟

الكل يعرف النتيجة: العمل الهائل، والسخيف، والمجهض لكهنة المادية الديالكتيكية والتاريخية، ولكل الفلسفة السوفيتية الرسمية وتوابعها في البلدان الإشتراكية، وعدد من الأعضاء أو الفلاسفة الحزبيين للنظرية الماركسية في الاحزاب الغربية (!): النتيجة كانت موت الفكر الماركسي، التي كانت تموت في إيطاليا حتى، أكثر البلدان ذكاءاً في العالم، حيث كانت تموت فعلاً في غرامشي، أكثر القادة ذكاءاً في العالم.. في ظلمة السجن. يقال إن "للفرنسيين عقول سياسية، وللألمان عقول فلسفية، وللإنكليز عقول إقتصادية" (ماركس)؛ لكن تبقى الحقيقة أن شيئًا بمثابة الخلاص أتى من البلد الذي له عقل سياسي، من دون أي فيلسوف عظيم: ليس من سارتر أو مارلو– بونتي، أو من مفسري الفينومينولوجيا، أو من هزة ديلا فولب، بل من عشر صفحات كُتبت، أيضاً في السجن– لكنه كان سجناً ألمانياً، كتبها كافالييس (حول نظرية العلم) حيث تمّ تلخيص كل الصرامة للفلسفة الجادة، ليست تلك العائدة للمؤدلجين، بل من أرسطو إلى هوسرل، مروراً بـ: ديكارت، وكانط، وهيغل. ومن عشر صفحات كتبها كافالييس في السجن، غير معروفة عند الكل في الخارج بالضبط كما كان فيتغينشتاين في فرنسا، وبطريقته الخاصة في مستوى فيتغينشتاين؛ ومن مقالات مخفية كتبت قبل أوانها من قبل أسوأ شخصية في العالم: كانغيلام، الذي أمضى خمسة عشر سنة مربكاً للفلسفة، طاغياً على الصفوف الفرنسية بإرهاب وصرامة التي استمدها من ديكارت ونيتشه. هكذا في فرنسا وُجد جيلاً أعاد تعلم كيفية التفكير بشكل ماركسي خارج الماركسية وقام بتعليمها لعالم مصدوم.

هكذا هي الطريقة الغريبة التي نهضت وبعثت فيها الماركسية، المدفونة منذ بدايات التحول الذي أجراه ماركس على إكتشاف انغلز. يجده المرء بسعادة في الفصل حول التراكم البدائي، الذي نجد فيه إعادة إحياء للثيمات الموجودة في كتاب (أوضاع الطبقة العاملة الإنكليزية)، رغم تجليات البيان الشيوعي في الفصول التي سبقت هذا. هذا الفصل لم يقحم نفسه إطلاقاً، كما هو الحال في (أوضاع الطبقة العاملة في إنكلترا)، في تطورات «التناقض» ما بين القيمة الإستعمالية والقيمة التبادلية، وفي "نفي النفي" الذي يمثل البروليتاريا والثورة. لقد طفى هذا الفصل في الهواء، مثل الكثير من نصوص ماركس المذهلة، عبر التخلي عن عمله لينقذ المنطق "الفلسفي". هذا هو موقع "العبقرية" الذي تخلى عنه انغلز، سعيداً بموقعه بوصفه الـ «موهوب" الذي يخدم الفيلسوف العبقري بإخلاص.

هذا ما يفسر خصوبة الماركسية. التي أجهضت كفلسفة، وأُنقذت كتكوين تاريخي لصراع وتشكل الطبقات، ومصيرها كله مرهون في هذا الـ«ما – بين». فالأمر يعود إلينا، بدلاً من الإدانة أو المهادنة، أن نلعب في الـ "ما – بين"؛ أن نرتب ما بين لمحات العبقرية، التي أولاً تأتي الينا عبر انغلز، والغباء الهائل؛ وبالتالي نجعل هذه العبقرية تعمل على الغباء الفلسفي العائد إلى ماركس. هذه ايضاً طريقة لإدراك أنه لم يكن انغلز (الذي كان احمقاً بما فيه الكفاية أن يكتب (ضد – دورهنغ) الذي روّج له ماركس) ولا ماركس (الفيلسوف الذي تمكن، في "التراكم الرأسمالي" و"ملاحظات حول فاغنر»، من الإنقطاع عن غباءه الفلسفي) مجرد رجلين شاركا هذين الدورين بين العبقري والموهوب، بل هما مفكران معقدان خلالهما عاد المكبوت بأسوأ شكل من الشذوذ.. إنها حقيقة يمكننا التعلم منها مراراً وتكراراً.

إذا كانت ماركسية (البيان الشيوعي) وجزء كبير من (رأس المال) قد ماتت، فإنها، على أية حال، تعيش عبر هذه العودة للمكبوت، الذي لم يتمكن لا ماركس ولا انغلز من الإشتباه على وجوده. إن ماتت الماركسية، فإننا لا زلنا بإمكاننا أن نجد شيئاً فيها لتفكير واقع الرأسمالية، والصراع الطبقي – الذي يعتمد عليه كل شيء آخر، والطبقات المشروطة بهذا الصراع، وواقع الإمبريالية التي هي نتاجه.. واقع كل هذا وكل شيء آخر حتى.

إذا كانت هذه الرجعة لجانب فكر ماركس وانغلز لا تزال متاحة لنا، فإن المسألة للأسف الشديد ليست بالمثل بالنسبة للأحزاب الشيوعية. هذه المنظمات، المبنية على أسس فلسفة (البيان الشيوعي) و(ضد–دهورنغ)، تقف فقط على أكاذيب محضة، وعلى جهاز القوة الذي يبني نفسه في الصراع وتنظيمه. هذه الأحزاب، التي تعتمد على النقابات والأرستقراطية العمالية، هي الأحياء الموتى، التي ستدوم ما دام أساسها المادي يدوم (النقابات التي لها سلطة في مجالس الأشغال، والأحزاب التي لها سلطة في البلديات)، ومادامت قادرة على إستغلال وفاء طبقة البروليتاريين والظروف القاسية لفقراء البروليتاريا والمأجورين. من الآن فصاعداً سيكون هناك تناقض متضارب ما بين ملامح العبقرية في فكر ماركس وانغلز والتقليدية العضوية في الأحزاب والنقابات. ولا شيء يشير أن صراع هؤلاء الأكثر حرماناً سيكون بقوة صراع ذوي الامتيازات الذين يسيطرون على جهاز القوة. إذا تمكنت الماركسية، في برهة، أن تحيا مرة اخرى، فإن الاحزاب هي الأحياء الموتى، مجمدة بالقوة وجهازها الذي يحمل هذه القوة، وتعيد إنتاج نفسها لتسيطر عليه بسهولة وتحمل الإستغلال ضمنه.

نحن نعيش هذا التناقض، وأنه قدر جيلنا أن يقوم بتفجيره. سينفجر رغم الصعاب، في تمرد شباب العالم الجدد.

التقدمي

رئيس التحرير: د. حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي

التقدمي العدد 151 ـ يونيو 2020 السنة الثامنة عشر SDPA 499

مقبلٌ موعد
المهرجان الذي
نكتبُ الآن تاريخه

■ الشهيد سعيد العويناتي

أوقف الركض في بهو الكلام

خليفة العريفي

في اللحظةِ الكامنةِ بين النومِ والحُلم
يُفتحُ بابُ المنفى
توقفْ!! وأسدلْ ستارَ النومِ
على ذاكرتِك
فكلُ الحكاياتِ آثمة..
من أين نبدأ؟
وبقايا الرحيقِ كامنٌ
يوسوسُ للروح
يرسُمُ طريقاً للغيم
وذاك القميصُ المنشورُ
على فضاءِ الليل
يُرسلُ فاكهةَ ليلةٍ باذخة
ومواعيدَ مؤجلة
وديوانَ شعر
توقفْ ...
ترجلْ يا سيدي
فهذه ليست حربَك الفاتنة
أحلامُك لا صدى لبراءَتها
وكلُ الحكاياتِ فاشلة
تلك الخديعةُ تعرفُها
هذه الجنةُ ليست وعداً
للحالمين
كلُ الحكاياتِ خادعة
كلُ الليالي نزوةٌ عابرة
فتوقفْ ...
وأسدلْ ستارَ الحكاياتِ
وافتحْ خارطةَ الحرفِ
وابتهجْ بالتراتيل

المواد التي تحمل أسماء كتابها لا تعبر بالضرورة عن رأي المنبر التقدمي

ص. ب: 21461 ت: 17780007 Altaqadomi.bh@gmail.com